UNTIL WE DIE
إلى أن نشيخ
نانسي خالد
رواية

إلى أن ننتهي

تنويه!

تمّـت تلـك الرِوايـة بحمـد اللـه منـذُ عـدَّة أعـوام وتُعتَبرَ ثَـانِي أعـمال الكَاتبَـة ، وَأُولى أعمالهـا تمّـت طِباعتها تحت عُنوان " في تِلك الليلة ".

" إلى أنْ ننتهــي " روايــة رومانســية اجتماعيــة تُنــاقش ســطورها بعــض الصــدمات النفســية ،الخلافات الزوجية التي ينتج عنها طـلاق، التعـافي منَ الإكتئاب والقليل عن الحُـب وإختيـار شريـك الحياة المثالي .

الرواية متوفرة الكترونيًا بشكل مجاني، وأرجو مـن القارئ العزِيز أن يترك رأيًا أو نقدًا بنّاءَ.

جميع حقُوق النشر محفوظة للكاتب ©
وأي محاولة للسرقة سيتم التعرض للمُسائلة القانونية

إهْداءٌ

إلى تلك الفتاة التي رأيتُها تبكِي في الخفاء كي لا تُرى، أُريد إخبارك بأَنَّ كُل شئ سيكُون على ما يُرام ، وأنَّ كُل ما ترِيدينهُ سيحدُث يومًا ما، فقط لا تستسلِمي أو تتوقفِي عن المُعافرة.

كدتِ تصلين يا عزِيزة!

" يَحتَاج الأمر لأكثرِ من مُجرّد الذّكَاء
حتى تتصَرف بطَرِيقة ذكية! "

دوستويفسكي

تتعالى أصوات الصراخ وكأن نهاية العالم قد حانت ، سارعتُ في إرتداء دِرعي ،حملتُ سيفى ،ألقيتُ نظرة على تمثال المْعَظمة عِشتار راجيةً أن تعطيني المزيد من القوة ، أزحتُ سِتار الخيمة ببطئ وتسارعت دقات قلبي حينما رأيتُ جنود مجهولي الهوية يعيثون الفساد في القرية من حولي ؟ ؛ يحرقون الخيام ، يقتلون الشيوخ بوحشية ، يأسرون النساء والأطفال.

لاحظتُ مجموعة منهم تحرق خيمة رئيس الجيش والتي من المُفترض أن أكون فيها وقبل أن أتابع ذلك المشهد رأيتُ جندي يتوجه ناحية خيمتي فاختبأتُ ، وعندما دخل قمتُ بشق بطنه ثم ذبحته بسيفي ، أمسكت خنجر كان في ملابسه ومسحتُ عنه الدماء لأجد اسم (عاذوراء) ، شعرت بالغضب يُحركِني فحملتُ ذلك الخنجر وخرجتُ لأقتل كل مَن وقف في طريقي إلى المُتسبب في ذلِك الدَمار ، امتطيتُ حِصانًا حتى عبرت الحدود بين القريتين ورأيتُه .

كان واقفًا ناصبًا ظهره لأعلى يبدو كأسدًا يستعد للهجوم وخلفه يقف أخاه والكثير من الجنود ينتظرون إشارة واحدة ليدمروا القرية بأكملها ، قفزتُ لأقف أرضًا وأشحذتُ سيفي وركضتُ إتجاهه ورفعت سيفي على رقبته وصاح الجنود وأشار لهم بكفه

ليصمتوا ولم يحرك جفنه أو يدافع عن نفسه على الأقل ثم قال بصوت واثق :

ـ رَوْند ..!

أجبته بغضب : سُوْرَان ..

ـ ستقودين جيش كامل لمواجهة الغزو .. كيف وغضبك سار بكِ إلىّ ولم تحمين قرية واحدة صغيرة؟.

ـ أحمي الضعيف والعاجز ..

ضيّق عيناه بتساؤل عاجزًا عن الإدراك فأنزَلت سَيفي من على رقبته ، أشار أخيه سرَمَد لأحد الجنود ليرى ما حدث في القرية وأعاد نظره لعينيَ فقلتُ بثقة :

ـ اتفقنا على أن نحارب معًا ولكنك خلفت بعهدك .

ـ لم أتفق معكِ .. اتفقتُ مع والدك الذي قُتل لسبب مجهول .

ـ اتفقنا على توحيد جيوشنا لمواجهة الغزو .

ـ وأنا لن أدع امرأة تقود جيش عدده خمسون ألف جندي .

قالها والتفتَ بظهره لا مباليًا بسيفي فأردفتُ :

ـ أحقًا تخشى قيادتي أم تخشى عليّ من القيادة ؟

توقف عند سماع ذلك ولكنه لم يلتفت ، قاطعنا الجندي الذي أرسله سرمد وهو يأتي مهرولًا ويصيح بفزع :

ـ مات جميع جنودنا ، والقليلُ فقطْ مِن أهل القرية.

سرمد : كيف ؟ .. مَن حاربهم ؟ لا يوجد رجال بالقرية .

سوران : أقمتِ بالتحالف مع العدو ؟

ـ عَار عليك إن كان ذلك ظنك بي ..

سرمد : ماذا إذًا ..؟

ـ حَارَبت بعض النِساء فقط والبقيّة نقلتهُم لمكانٍ آمِن أمس.

نظر لي سوران بعُمق وصرح بعينيه عن مدى تعجبه ثم قال :

ـ لن تقودي تلك الحرب إلا إن اختلطت بلاد الشمال بالجنوب ..

كان من المُحال اختلاطهم حتى قررت عشتار ذلك .

رفعت عينيهَا عن الحاسُوب لتجِد السَّاعة تخطت الثَالثَة بعدَ مُنتصَف الليل ، تثَاءبت بثِقل ومطَت يدِيها ، تأكدَت مِن حِفظ ما كَتبتهُ جيدًا وأغلقَت الحاسُوب ونامَت بهدُوء.

****

في احدى ضواحي القاهرة ذات الضوضاء العالية تعالى صوت السيارات والذي أفاقت عليه نور فزعةً ، ثم نظرت إلى الساعة فاتسعت حدقتا عيناها حِينما أدركت أنها متأخرة عن مِيعادها في التاسعة صباحًا بثلاث ساعات !

ارتدت أول ما قابلته من ملابس ، ركضت لشقة صديق طفولتها وخالها كريم ، دقّت الباب بجنون حتى أفاق فزعًا وهو يصرخ ببعض الألفاظ البذيئة ، رفع حاجبيه عندما رآها تنظر كصغير البط وتوقع ما حدث :

ـ تأخرتِ مرة أخرى على العمل .

ـ سيتم طردي تلك المرة بالتأكيد .

قام بعد طُول اقناع بإيصالها إلى مكان العمل ، ركضت دَاخل مكتب الجريدة وهيَ تقشعر من التوتر وقابلت زميلتها :

ـ هل سأل المُدير عني ؟

ـ يريدك في المكتب .

سارت ويداها ترتجف لتقابل مُديرها الخمسيني ، طرقت الباب ببطئ ثم دخلت بعد أن أشار لها :

ـ تم رفدك من أربع جرائد من قبل .. لماذا ؟

ـ بسبب التأخر صباحًا .

ـ أنتِ صحفية ممتازة ولكنك تعاني من مشكلة الأستيقاظ صباحًا بلا سبب واضح .

ـ أعتذر ..

ـ اذهبي لقسم المحاسبة .

خرجت بهدوء ، اتجهت لمكتبها ، جمعت أشياءها ، ودعت أصدقاءها بلُطف ، ثمّ خرجت ببساطة .

وجدت كريم ينتظرها بالخارج بإبتسامة بلهاء فبادلته :

ـ المرة الخامسة نور ..

ـ أعلم لا داعٍ أن تخبرني ،سأعود للمنزل ..

ـ ستخبرين شقيقتي العزيزة برفدك .

ـ لا تذلني لأنها أمي .. لن أخبرها .

أخذ منها الصندوق الذي يحوي أشياءها ورحل وظلّت هي في مكَانها لدقائِق تفكّر في أسباب رفدِها المتكرر ، قاطع تفكيرها صوت صُراخ لإمرأة في شارع جانبي ، شعرت بخوفٍ شديد ولكن غلبهُ شعُورها بالفضُول فسارت بحذر وبطئ لترى مصدر الصوت ، وجدت سيدة تجلس في زاوية صغيرة تضم رأسها لركبتيها باكيةٌ بصوتٍ مسموع ، وهي ترتدي عباءة سوداء ، نظرت نور حولها لتطلب المساعدة فلم تجد أحد ،فاقتربت منها ببطئ :

ـ سيدتي .. هل أنتِ بخير ؟ .. هل يؤلمك شئ ؟ ..

صمتت تلك السيدة عن النحيب وبدأت في رفع رأسها فكانت على جبهتها زهرة بارزة ذو شكلٍ مُرعِب ،ذات بشرة بيضاء تمامًا كالأموَات وعيناها كاملة باللون الأسود وتبكي دماءً.

تراجعت نور وهـيّ تـرتعِش مـن الخـوف وتعـثرت بحجـرة لتسـقط أرضًـا ، نهضت تلك السيدة التيِ أرعبتها وبدأت في التحدث بطلاسم غـير مفهومـة حتى اقتربت من نور التي كاد قلبها أن يتوقف :

ـ انانا عشتروت أفروديت فينوس ..

ظلّت تردد تلك الطلاسم ويزداد علو صـوتها حتـى فقـدت نـور وعيهـا مـن الرعب.

****

" تنبتُ العُقَدُ مِن صَدمَة عَاطِفية ثمَّ يبنسَى الإنسَان سَببُ الصَّدمَة ولكِنَّ العُقدَة تظلُ حيّة فِي نفسِه "

سيغموند فرويد

فتحت عينيها بفزع شاهِقة وهيّ تتنفس بسُرعة ، وجدت نفسها نائمة على سريرها في منزلها ترتدي ملابس النوم ! ، إلتقطت الهاتف لترى الساعة و احتلت الدهشة ملامحها عندما وجدتها الثامنة مساءَ في نفس اليوم ، خرجت من غرفتها راكضةً :

ـ أمي .. متى عُدت ؟

ـ أتسأليني أنا !

ـ أخبريني ..

ـ لا أعلم .. لم أكن بالمنزل .. عُدت في السادسة كنتِ نائمة .

ـ إذًا هل كريم بالمنزل ..؟

ـ لا أدري.

ركضت خارج الشقة بقلقٍ وخوفٍ شديدين ، وأطرقت بابه فلم تجد رد من الداخل ، لم تتحمل الإنتظار فأخذت سيارة والدها وذهبت لمكان عمله ، وقد فوجئ عندما رآها :

ـ ما الذي تفعلينه هنا ؟ .. ب البيجاما !!

ـ لم أجد الوقت .. يجب عليّ إخبارك بأمرٍ هام .

ـ ما الذي حدث ..؟.

ـ متى عُدت أنا للمنزل ؟.

ـ ومن أين أعلم ؟.

ـ هل .. هل تركتني و رحلت أمام الجريدة صباحًا ؟.

ـ نعم ..! ماذا حدث ؟.

ـ لا أتذكر ماذا حدث.

ـ كيف لا تتذكرين ؟.

أخبرته بكل ما حدث وملامحِ الدهشة تحتل وجهُه حتى أخبرته أنها استيقظت في سريرها فضحك بسُخرية :

ـ أتمزحين ؟ ،بالتأكِيد كان حُلم.

ـ لا لم يكن .. لا أتذكر أي شئ .. لا أتذكر أني عدت للمنزل وبدلت ثيابي ونمت!.

ـ ماذا ستفعلي الآن ؟

ـ أريد الذهاب لذلك الشارع ..

ـ يمكن أن تكون مزحة سيئة من أحد الأصدقاء ..

ـ كريم .. سأذهب لذلك الشارع الآن .. هل ستأتي ؟

ـ وهل يمكن أن أتركك؟

ذهب معها لذلك الشارع الجانبِي ، كان الجو باردًا ساكنًا والسّماء على وشك أن تُمطِر ، ترجلت نور من السيارة بثقةٍ تحاول تجميعها لتعلم كيف وصلت لسريرها، أتى كريم من خلفها :

ـ مكان عملك مرعب بالليل .!

أشارت نور على إحدى الزوايا :

ـ هنا .. كانت تلك السيدة هنا .

ـ إذًا ؟ .. ماذا سنفعل ؟.

اقتربت نور بجرأة لذلك المكان فلاحظت مادة كالتُراب الرَمادي عـلى الأرض ، أدركت مُسرعة أنه رَماد لشيءٍ ما احترق !

لاحظت حجر معدني دائري مصنوع من الذهب على شكل نجمة ذات ثماني أطراف :

ـ أذلك ذهب ؟

ـ أعتقد.

ـ لنبيعها ..

ـ كرييم !!

تحرك أحدهم من الخلف بسرعة كالظل فنظرا للخلف ، مسك كريم يد نور وقال بحزمٍ:

ـ لنرحل من هُنا؟

ـ لا .. سأرى من ذلك ؟.

ـ حسنًا اذهبي للسيارة وأنا سأرى .

ـ لا لن أذهب ..

سَارت عدة خطوات اتجـاه ذلـك الصـوت وأتى هـو مـن خلفهـا ليتقـدمها ، وحاول كِلاهُما رؤية مصدر ذلك الصوت لكن لم يكُن هُناك غـيرهِما ، تنهَـد كريم وقال:

ـ هل نرحل الآن ؟ .

ـ يوجد أمرٌ مُريب.!

طاوعته وهمّت بالرحيل ولكن داخلها لم يطمئن ابدًا وظلّت ساكنة طوال الطريق حتى قاطعها عند وصولهم :

ـ نور .. بماذا تفكرين ؟.

ـ لا أعلم .. ولكني لستُ مطمئنة .

ـ أتصدقين ؟ يبدو أنه مقلب من أحد أصدقائك ، لا تشغلي بالك وارتاحي جيدًا.

ـ يوجد نهار كامل مفقود من عقلي .. لا يمكن لأصدقائي فِعل ذلك.

ـ حاولي أن تنامي الآن ، وستكون الأمور على ما يرام غدًا.

تركته وصعدت لشقتها على كامل علم أنه لن يصدقها مهما قالت أو فعلت ، قابلت أمها التي استقبلتها بنظراتِ عتاب بسيطة لرحيلها المُفاجئ :

ـ أين ذهبتِ ؟.

ـ كنت مع كريم .

ـ هل أنتِ بخير ؟.

فضلت نور الهرُوب من السؤال الذي لا تعرف لهُ إجابةً ، وأن تسأل سؤالًا تعرف إجابته جيدًا:

ـ هل عاد أبي ؟.

نظرت أمها بأسفٍ وحزنٍ لهَا ، ففهمت نور سريعًا الإجابة وهربت لغُرفتها متذمرةً :

ـ ومتى سيعود ؟ مرّ أكثر من أربعة أشهر ولم نعرف أي شئ عنه، أعلم أنه عميد في الجيش المصري ومنشغل دائمًا ، لا يهمه أبدًا أمرنا وأحيانًا تعاتبه أمي على قسوته ولكنه يقابل الأمر بشكل لامبالي تمامًا وكأنه يعيش وحده في تِلك الحياة.

تعلم أنها لن تستطيع النوم فتناولت الحجر الدائري الذهبي بيدها وتأملت فيه بدهشة ثم خطر على بالها تلك الكلمات التي قالتها السيدة المُريبة (انانا عشتروت أفروديت فينوس) وبدأت بالبحث عن الكلمة الأولى لتجد أنها إلهة بلاد الرافدين القديمة المرتبطة بالحب والحرب ..

عبدها الآشوريون والبابليون والأكاديون تحت اسم عِشتار !

كتبت في محرك البحث الكلمة الثانية فوجدت تعريف مشابه للكلمة الأولى ، انتهت بها نتائج البحث إلى كلمة عِشتار مرة أخرى ، بدأ القلق يتسلل داخل نور ولكنها لم تبالي فكتبت الكلمة الثالثة وحدث الأمر مرة أخرى ، لكن هدأت قليلًا عندما بحثت عن الكلمة الأخيرة لأنها وجدت أنها شركة أدوات كهربية .

اختصرت الأمر وبحثت عن عِشتار ولكن لم يزيدها ذلك سوى خوف وحيرة لم يسبق لها أن شعرت بهما ليصادفها التعريف الخاص بويكيبديا أنها آلهة الحب والحرب والجمال والتضحية في الحروب ورمزها نجمة ذات ثماني أشعة منتصبة على ظهر أسد وعلى جبهتها الزهرة يطلق عليها السومريين

إنانا وعشتروت لدى الفينيقيين وأفروديت لدى اليونان وفينوس لدى الرومان.

شعرت بصعوبة في التنفس وخاصةً عند تأكد مواصفاتها مع تلك السيدة التي رأتها والأمر برمته لا يساوي شيئًا مقابل الخوف الذي تسلل لها عندما رأت صورة الرمز والذي كانت تحمله في يدها فألقته بعيدًا وخرجت لتتنفس في الشرفة عاجزة عن فهم أي شئ ، لمحت أحدهم في أسفل البناية متخفي بقبعة سوداء وذلك أمرًا غريب لأنها المرة الأولى التي ترى فيها أحدًا ، ولكنها تجاهلت الأمر.

ارتدت بعدها أول شئ ظهر أمامها وأخذت زجاجة المياه ونزلت من البناية متجاهلة نظرات أي بشري متأصّل بالعادات واستعدت بهدوء بعد التنفس جيدًا وركضت ، لطالما كانت تحب تلك الرياضة وخاصةً عندما تنتهى بها كل الطرق إلى الحيرة ، تابعت الركض لقرب آذان الفجر غير مُبالية بما قد يقوله الناس ومتجاهلة أي خطر قد يواجهها فبطبيعتها السجيّة تملك جرأة وشجاعة لا تمتلكها أي فتاة غيرها قد نشأت على نفس العادات والتقاليد المصرية ، توقفت قليلًا للتنفس قبل آذان الفجر بساعة و رأت نفس الشخص بنفس القبعة فبدأ يتسلل لقلق داخلها بأنه يلاحقها أو يراقبها ولكنه لا يُريد إيذاءها لأنّ تلك الفرصة توافرت له كثيراً طوال ذلك الطريق ، قررت إدّعاء الركض و التوقف مرة واحدة والإمساك به لربما تكون لديه إجابة عن الأسئلة التي تتمحور في رأسها ، بدأت بالسير بهدوء ثم زادت من سرعة ركضها وهو خلفها و توقفت فجأة وغيرت إتجاهها فلاحظ ذلك وبدأ في التراجع وقال بصوت متردد :

ـ توقفي .!

لم تفهم شئ :

ـ من أنتَ ؟.

غيّر إتجاهه وحاول الركض ولكنها كانت أسرع منه ؛فأوقفته وهي تثني معصمه للخلف ودفعته مجبراً للحائط فوقعت قبعته فرأت ملامحه بوضوح ...

ثلاثيني ذو بشرة حنطية ، عينان عسليتان ، حاجبان كثيفان ، ملامح جامدة ويبدو وكأنه سيهجم في أي لحظة فسألت مسرعة وهيَ تتنهد :

ـ مَن أنت ؟

ـ يُوسف.

قبل أن تسأله عن سبب ملاحقته لها استيقظت !.

فتحت عينيها دون دراية بأي شئ حولها لتجد نفسها مرة أخرى على سَرِيرَها ولكنها لم تُغير ثيابها ولم يكن حُلمًا وهيَ فقدت الوعي في ذلك الوقت ولكن كيف ؟ ولم تشعر بدوار أو تعب ، هل يمكن للمرء أن ينسى ما يحدث له ؟ ، إلتقطت هاتفها لتجد أنها الواحدة مساءَ فنهضت مسرعة وخرجت لأمها :

ـ صباح الخير نوري .. هل تذهبين للركض قبل العمل ؟ لماذا ترتدين ملابس الرياضة ؟.

ـ لا لن أذهب ولكن ذهبت أمس عندما كنتِ نائمة ..

ـ مرة أخرى ! .. ألا تخشين أي شئ وحدك في الخا..

قاطعتها فلا تتحمل سماع شئ الآن:

ـ أمي .. أرجوكِ .. سأذهب للجريدة .

تركتها ودخلت الغرفة مرة أخرى وهيَ تعلم أنّ أمها لن تفيدها بشئ فلا تعلم أنها ذهبت من الأساس وقامت بتغيير ملابسها وكأنها ستذهب للجريدة وخرجت من البناية دون افطار وبدأت تنظر حولها في كل مكان باحثةً عن ذلك الغريب الوسيم المدعو بيُوسف وهيَ تشعر بفراغٍ قوي بعقلها ، أسرعت لمنزل صديقتها بالسيارة ولم تتوقف عن البحث عنه بعينيها طوال الطريق ، طرقت باب البيت بتعجل حتى فتحت لها صديقتها المُرتدية ملابس العمل وبكامل أناقتها لتضم حاجبيها بتعجب من وجودها المُفاجئ وشعرها غير المهندم وكأنها كانت على عجلة ، دخلت نور لمنزلها دون استئذان أو إنتظار دعوة :

ـ كارمن .. لماذا منزلك نظيف هكذا ؟.

ـ ما الذي حدث ؟.

ـ أحتاج التحدث مع أحدهم .

ـ كمريضة أم كصديقة ..؟

ـ لن تفرق.

ـ بلى ، كمريضة تؤجل لأني ذاهبة لمؤتمر تكريمي بعد قليل.

ـ حقًا !! .. أهو اليوم ؟.

ـ بالطبع .. لم تهتمي بي ! فمرّ الكثير وأنتِ تحاولين إستجماع نفسك كي تستقري في وظيفة و...

ـ تم رفدي ..

ـ تاني يفوزي ؟ .. تاني مبتحرمشي !!.

ـ بسبب التأخير.

ـ لم أحب تلك الوظيفة على كلِ .. سنجد لكِ واحدة أخرى.

ـ لست بقلقة من أجل الوظيفة.

اقتربت منها كارمن واحتضنتها بحُب :

ـ لا بأس بكل ما حدث أو سيحدث سنتخطاه سويًا .

ـ مللتُ من الحُزن ..

ـ حسنًا ، الآن ستصعدين لأعلى وسأحضر لكِ ملابس رسمية لتحضري المؤتمر الخاص بي وتخبري الجميع عن مدى فخرك بأني دكتورة نفسية ناجحة.

ـ ثم .. ماذا سنفعل ؟

ـ ربما نعود لنشاهد فيلمًا سويًا أو نسهر في الشرفة مع القهوة وبعض الحلوى .. اصعدي الأن وانتعشي حتى أجهز ملابسك.

ـ حدث أمر مُريب فقط أريد إخبارك به.

ـ إن كان أمرًا مهمًا .. لن أحضر المؤتمر.

ـ بالطبع لا ... ليس بتلك الأهمية.

****

" لا تُصدِق كُل مَا ترَاه، أحيانًا العين
تكذبُ أيضًا "

نور

كـارمن صـديقتي الحقيقيـة الأولى ، دائمًـا مـا كُنّـا نتشـتت بعيـدًا في المُـدن والبِلدان ولكن كُل مرّة كنّا نعُود للِقاء مرةً أخـرى نحتسي القهـوة ونتبـادل المزحات ونفترق ونحنُ نعلم أننا سنلتقي مرةً أُخرى.

ارتديت الملابس الكلاسيكية التي اختارتهـا ، كـان طقـم رسـمي ذات طـابع نسائي بلون بترولي قاتم ، قامت كارمن بجمع شعري لأعلى بعد معاناة منها بسبب طوله ثمّ أضافت بعض اللمسات البسـيطة مـن مسـاحيق التجميـل ولا تنسى بعض المجوهرات العالمية وبالتأكيد حذاءَ ذا كعبًا ؛ ليضيف طـولًا على قِصري ثم نظرت لي بحُب :

ـ أنتِ ناجحة وقوية وعظيمة واياكِ نسيان ذلك.

قالتها وهيَ تبتسم بلُطف كي تطمئني من قلق سـكن في أركـان عقـلي ، مـرّ ساعتان في الطريق وقد كانت كارمن مسترخية كعادتها لا يشـوبها أي قلـق معمـدة كُـل الاعـتماد عـلى ثقتهـا بنفسـها وحيـنما وصـلنا قامـت كـارمن بتعريفي على الكثـير مـنهم والـذي أشـاد أحـدهم بإنجـازاتي وآخـر بجـمالي والذي يليه بثقتي وغروري حتى حدث ذلك الأمر الذي لا أتوقعه !

ظهور ذلك الغامض المدعو يُوسف بملابـس أنيقـة وقـد كنـت في حالـة مـن الذهول خاصةً عندما ركضت إليه كارمن بحُب واحتضـنته بعفويـة وبادلهـا بابتسامة لطيفة ، ثم التفتت بإبتسامة بلهاء لي وقالت :

ـ يُوسف .. أفضل صديق لي في مجال الطب كما أنه أفضل جـرّاح قـد تعلـم الطب على الإطلاق.

نظر لي بتلقائية وقام بمد يده وكأنّ شيئًا لم يكن أمس فما كان لي إلا أن بادلته بالمثل ثم تابعت :

ـ نور .. صديقتي من الطفولة ولا أقول سوى أنها تمتلك الفضل في بدايات نجاحي و..

قاطعها بدء التحدث على المنصة وضرورة جلوس الجميع في أماكنهم ، فسحبتني من يدي مسرعةً لكي نجلس في الأمام وأعتقد أنه جلس في الخلف وبدأ الحديث عن الطب والإتحاد الدولي والكثير من الأشياء التي لم أملك التركيز لفهمها فقد ذهب كل تركيزي له وعن تلك الصدفة المبالغ في حدوثها ، أتى وقت التكريم وقد نهضت كارمن من جانبي قبلها بقليل كي تلتف من خلف القاعة وفي ذلك الوقت أتى هو فجأة وجلس مكانها :

ـ لن تخبريها بشئ.

ـ ومِن أين لكَ الثقةهذه!

ـ نور .. لن تخبريها.

ـ لماذا تلاحقني ؟

ـ لا ألاحقك.

ـ مزحة سيئة.

ـ لن تخبري أي أحد بأي شئ .. لا يجوز أن يعرف الكثيرون ..

ـ ماذا ؟ .. ما الذي تتحدث عنه؟.

صدى صوت اسم كـارمن بمـا يُـوحي بظهورهـا عـلى المسرـح ، فـنهض مـن جانبي في لباقة وخرجت كارمن في ثبات وثقة وتعالت التصفيقات لها وهي تحمل الجائزة وكأنها تقول (لقد فعلتها) فلمّحت لها عن مدى فخري بهـا ثم أتت لي واحتضنتني وهيَ تخبرني عن مدى حبها لعملها ويجتمع حولهـا أصدقائها في دائرة مهنئين .

لمحت يُوسف على بعد عدة أمتار يهمُ بالذهاب لمكانٍ ما فلاحقته بهدوء (بتردهاله وكده) حتى رأيته يقابل امرأة تبـدو بـالقُرب مِـن عُمـره وترتـدي ملابس سوداء من الجلد ، جميلة جدًا ذات عيون زرقـاء مـثلي وشـعر بنـي ولكنهـا حـذرة تمامًـا وتراقـب المكـان بعينيهـا باسـتمرار ثـم اقتربـت قلـيلا لاسمعهما وقال يوسف:

ـ يجب علينا إخبارها.

ـ ليس ذلك الوقت المُناسب.

ـ لا أهتم سوى بآمانها وهيَ متهورة طائشة جريئة .

ـ هل ستستطيع كبح عِنادها وفضولها لحين الوقت ؟

ـ نعم .. حتى إنه..

قاطعهما صوت اللوحة التي وقعت لأني إستندت عليها بأريحيـة و قبـل أن أتخذ قرار الهرب أو الظهور شعرتُ بثني يدي وبدفعي بشدة للحائط حتى إني كدتُ أصرخ من شِدة الألم ، نظر لي رافعًا حاجبيه وتركني بعدها مسرعًا ،فمسكتُ يدي بتألم :

ـ ما الذي تفعله ؟

ـ أقلدك.

كاد أن يطفح بي الكيل فبدأت في رفع نبرة صوتي :

ـ ما الذي يحدث هنا ؟ ومن أنتم ؟.

ـ أخفضي نبرة صوتك .. لا أحد يرفع صوته عليّ .

ـ أنا رفعته .. ما الذي سيحدث ؟

ـ لا تعاندي.

ـ أخبروني الآن وإلا..

توقفت عن كلامي لأني التفت ولم أجد تلك المرأة :

ـ أين ذهبت تلك ؟ وأمر آخر .. هل تقول عني متهورة طائشة ؟

ـ هل ذكرت إسمك ؟ ..

ـ لا ..

ـ إذًا ؟

ـ متى تنوي اخباري بأي شئ ؟

ـ قريبًا .

ـ متى ؟ .. يمكنك أخذ رقم هاتفي أو..

ـ أملكه وأملك كل شئ ..

ـ هل تراقبني!

ـ ألم نتخطى ذلك الجزء بعد ؟

ـ لا ولن....

ـ هشششش .. سأخبرك كل شئ ولكن ليس الآن ، يجب أن نعود كي لا يلفت غيابنا الأنظار.

ـ حسنًا .. ولكن إن لم تخبرني سأقتلك.

حاولت إعادة الثقة لروحي وعُدت لأقف مع كارمن وأصدقاءها ، مرّت ساعة وأكّد الجميع على حضوري الحفل الليلي البسيط الذي أقامه لها أصدقاءها ، أثناء طريق عودتنا تحدثت كارمن كثيراً كعادتها ولكني لم أسمعها فكان عقلي تائِهًا بالأحداث التي حدثت اليومين الماضيين ، قاطعت حديثها بسؤالي :

ـ هل يمكن أن يفقد أي أحد جزء صغير من ذاكرته عن طريق دواءَ ما أو مخدر ؟

ـ لماذا تسألين ؟

ـ رأيت مشهد في فيلم.

ـ بالطبع نعم ولكن مفعوله ليس دائم ؛ فيُمكن أن تعود الذاكرة بعد فترة من الوقت.

ـ حسنًا ..

ـ هل أنتِ بخير ؟

ـ نعم .. ولكني فقط مجهدة .. أعتذر لن أستطيع القدوم للحفلة ليلًا.

ـ ولكن هل سأتركك وحدك بالمنزل ؟

ـ لا بأس .. سأنام .

أخبرت أمي أنني سأقضي الليلة مع كارمن التـي ودعتنـي لتـذهب للحفلـة الخاصة بها في العاشرة مساءَ .

ارتديتُ ملابس رياضية واستعددتُ للركض خارجًا وأنا أحاول تهدئة عقلي ، رنّ هاتفي فكانت أمي :

ـ نور .. من أين أحضرتِ ذلك الحجر الذهبي في غُرفتك ؟

ـ وجدته في الشارع.

ـ ظننتك طلبتِ تحضيره.

ـ لماذا ظننتِ ذلك؟

ـ في صِغرك رسمتِ الكثير من الرسومات بنفس الشكل.

ـ متأكدة ؟

ـ نعم حتى أنكِ كنتِ ترسمينها على الحائط وأنا أصرخ من خلفك.

ـ حسنًا يا أمي .. لربما صُدفة .

أغلقت الهاتف بقلق وقررتُ العودة للمنزل ولكن شعرت بأحدهم خلفي ؛ فنظرتُ مسرعةً وكان أحدهم يرتدي قِناعًا لا أرى منه سوى عينان فسـألت بخوف :

ـ من أنتَ ؟

ابتعدت خطوتين لأجهز نفسي للهرب حِينما رأيته أخرج سكِينًا ذا شكلٍ غريب، لم أجد وقت للدهشة فلربما يطعنني ، ركضت في إتجاه مُعاكس ولكنه لم يركض خلفي وعُدت بفزع للمنزل وجسدي بأكمله يرتعش من الخوف ، أغلقت الباب جيدًا والشرفة وكل النوافذ ، بحثت عن هاتفي فتذكرتُ أني أوقعته أثناء ركضي ، فحاولت التفكير في حل سريع ولكني لا أجد عقلي الآن فالإدرينالين مُسيطر عليّ ، شعرتُ بصوت من خلفي لأجد ذلك المُقنع في وسط المنزل ويبعد عنِي أمتار فقط وعيناه تنظر لي بشرٍ !

صرختُ وأنا أجهل كيفية دخوله على الرغم من غلقِي لكُل ثغرة بالمنزل ! ، ركضت للغرفة في الأعلى وأوصدتُ الباب ، ثمّ وضعت خلفه كرسي ، ما هي إلا ثوانٍ وشعرتُ بالباب سينكسر ويسقط كُل ما خلفَه وكأنّه صُنع من ورق !

ركضت للنافذة وقفزت للخارج ؛ فجَرحت يدي بشدة ولكني لم أهتم ، تابعت الركض بأقصى قوّتي ولكن تلك المرة ليس كهواية بل لإنقاذ حياتي ، كُنت أنظر خلفِي كُل أربعة ثواني لأطمئنّ أنه لا يطاردني،

وفجأةً !

رأيته أمامي بمَسافةٍ لا تزيد عن نصف مِتر ، وشعرتُ بشئٍ ما يخترق جسدي ، صرختُ ونظرت للخنجر الذي اخترق مَعدتي وتناثر منها الدماء ثم نظرت لعيناه ثم استقيظت ..!

اللعنة ! ليس مجددًا ..

ولكنني على الأقل حية على سريري في منزل كارمن ، رأيتُ مكان جرح الخنجر فلم أجد شئ أو أثر لأي خدش على الأقل فبالتأكيد آمنت أنّ ذلك

حُلم فلا يُعقل أن يُشفى ذلك الجرح العميق في يومٍ وكان هـاتفي بجـانبي فرأيت الساعة كانت الثامنة صباحًا ، نزلـتُ لأسـفل ورأيـت كـارمن تحضر قهوة :

ـ صباح الخير .. كيف حالك ؟

ـ متى عُدتِ أمس ؟

ـ كانت الثالثة تقريبًا .. كنتِ نائمة بالغرفة حينها ..

ـ .....

ـ هل أنتِ بخير ؟ .. تبدين مُرهقة .

ـ رأيتُ كابوسًا فقط ..

ـ يمكننا التحدث الآن عن ما يضايقك .

ـ لا أعلم شـئ .. فقـط حـيرة وخـوف وكـوابيس وكـأنّ هنـاك دائمًـا حقيقـة مخفية وشئ عجيب يجعلني أشعر بأن الصورة ناقصة .

ـ تلك حالة طبيعية .. يمرّ كلِ بلحظات يشعر بها أنّ كل شئ انتهى وحينهـا يقوم بإلقاء اللوم على علاقات سامة أو الخُذلان أو الحب أو بعض المشاكل العائلية .. ولكنها في الحقيقة ليست سوى تراكمات ومشاعر حـزن مدفونـة يتم دفنها وليس مواجهتها ..

ـ يجب أن أخبرك أمرًا يحدث لي منذُ فترة .

ـ ماذا حدث ؟

قبل أن تتحدث نور قاطعها صوت الهاتف وعادت لي بعدَ دقائِق :

ـ نور ، الفتاة المُصابة بالتوحد التي حـدثتك عنهـا أمـس .. تمـر بحالـة ذعـر ويجب...

ـ اذهبي ..

لمحت كارمن أثناء ذهابها يد نور :

ـ كيف جَرحتِ يدك هكذا ؟ .. قومي بتضميدها ..

****

" كُل شئ مُرتبط بكُل شئ "

شعرت نور بحيرةٍ شديدة لا تفهمها ، فما كان لها سوى الذهاب ليُوسف فالأمر لم يعد بسيطًا فطُعنت أمس واليوم لا أثر لتلك الطعنة ! ، ذهبت للمشفى التي يعمل بها لتدرك أنها نفس مشفى كارمن ، كانت تشعر بقدُومها من قبل وكأنّها قضت في ذلك المكان الكثير من الوقت ولكن ظنّته احساسًا عابرًا فتجاهلته ولكنه حينها لم يكُن كذلك ،

دخلت لمكتبه وأغلقت الباب بعُنف ، كان جالسًا ويقرأ بعض التحاليل ولكنّه انتبه لها :

ـ نور ! ... ماذا تفعلين هنا ؟

أغلقت الباب واقتربت منه ورفعت يدها ليظهر جرحها :

ـ نسيتُ تلك.

أغلق عينيه وكأنه يلعن نفسه لنسيانه ثم نهض مقتربًا منها :

ـ لا يجب أن نتحدث هنا ..

ـ تمّ طعني أمس وأنا أقف أمامك اليوم لا أثر لتلك الطعنة.

ـ أعلم أنّ الأمر ليس سهلًا ولكن لن نتحدث هنا.

ـ حسنًا .. أين تريد الذهاب ؟

ـ ليس الآن ..

فقدت أعصابها وبدأت في رفع صوتها :

ـ ماذا تعني بليس الآن !!

ـ لا ترفعي صوتك عليّ ..

ـ سأرفعها .. ماذا يحدث ؟

ـ سيحدث أشياء سيئة جدًا.

ـ هل تحاول قتل..

ـ حسنًا .. ستذهبين الآن وتخبرين والدتك أنكِ ستسافرين لعدة أيام في عمل أو أي شئ .. وسأقابلك ليلًا لنرحل ..

ـ إلى أين سنرحل ؟ .. ولماذا ؟ ..

ـ سأخبرك قبل أن نرحل ليلًا ..

ـ ولماذا أثق بك ..؟

ـ لأجل عِشتار ..

ـ ليس سببًا فلستُ متأكدة بعد من أي شئ.

ـ لا أستطيع إخبارك بأي شئ لأنّ...

ـ لأنك لا تملك شئ لتقوله على كلِ ..

خرجت والغضب يعتريها منه وقررت عمل تحليل لمعرفة نوع المُخدر الذي يجعلها تنسى وأعطت الدم وانتظرت ساعتين حتى ظهرت النتيجة وتحدثت مع الطبيب لتعرف نوع المُضاد المُناسب وأحضرته وتناولت حبتين ليكوّن مفعولًا أقوى .

عادت لشقة والدتها لعلها تجد اجابةً عن عِشتار لديها ، عندما حاولت فتح الباب رفعت حاجبيها وازدادت سرعة تنفسها ولم تأخذ ثوانٍ حتّى تُدرك

أنه تمّت مداهمة الشقة بشكلٍ مُريب ، الأثاث تم تكسيره وتخريبه وزُجاج مُكسر في كُل مكان.

دخلت نـور بهـدوء يشـوبه القلـق الشـديد عـلى والـدتها وهـيَ تتمنـى أن تجدها بخير وسلامة على الرغم من أنّ فرصـة حـدوث ذلـك ضـئيلة جـدًا ، نادت على أمها بسرعة ولكن كانت الإجابـة الصـمت فأخـذت تبحـث عنهـا بجنون وتصرخ بإسمها وبكت بغضب ، تحدثت مع كريم ليأتيها وتحـدثت مع الجيران وقد أنكر الجميع سماع صوت صراخ أو تدمير فقامـت بلعـنهم جميعًا وكادت أن تضربهم ولكن كريم أوقفها فكان أمس بالشـقة الخاصـة به ولكنه لم يسمع أي شئ أيضًا !

كادت أن تُصاب بالجنون وهيَ تصرخ بغضب ، ذهبت لأقرب قسم شرطـة وقضت اليوم هناك ، حاولت إيجاد أي دليل بالتحقيقات ولكـن الليـل قـد حل وأكدّ الظابط لها عدم دخول أي أحد غريب البنايـة وكـاميرات المُراقبـة تثبت ذلك.

خرجت من قسم الشرطة وهـيَ تلعـن الجميـع ، قـررت الـذهاب ليُوسـف ولكن تلك المرة لمنزله الذي عرفته من كارمن ، أخذت تطرق البـاب بشـكل متتالي وبغضب حتى فتح لها الباب وكأنه كان متأكدًا من قدومها :

ـ ادخلي ..

ـ أين أمي ؟

ـ ادخلي ..

أغمضت عينيها تعبيراً على الغضب ثم دخلت وبعد غلق الباب:

ـ اجلسي ..

ـ أستستمر في إلقاء الأوامر عليّ ..؟

ـ أخفضي صوتك .. لا أحد يرفع صوته عليّ ..

ـ أنا رفعته .. ماذا ستفعل ؟

بدأت عروقه في أن تبرز كدليل على الغضب الذي سببته له :

ـ سأعرف مكان أمك .. ولكنك لن تذهبي لمكان ولن تعرضي حياتك للخطر تحت أي سبب.

ـ لماذا ؟ .. لماذا حياتي مهمة بذلك الشكل ؟

ـ ليس الآن ...

ابتسمت بسخرية :

ـ حسنًا .. ليس الآن.

بهدوء محاولةً التحكم بأعصابها خرجت من البيت وتناولت عصا معدنية كانت على الأرض واتجهت ناحية سيارته وبكل ما تملك من قوة قامت بتكسير زجاجها الأمامي ثم الخلفي ثم كُلها ..!

كان واقفًا ينظر بإستعجاب من ذلك الجنون الذي طغى عليها وهيَ تصرخ أثناء تكسيرها :

ـ لن تخبرني الآن .. ومتى تنوى إخباري !! .. ألستُ متهورة طائشة ؟ .. أنتَ لم ترى شيئًا بعد ..

و بعدما حطمت السيارة تقدمت إتجاهه :

ـ أستخبرني الآن ..؟

ـ ليس بعد ..

صرخت بغيظ ودبّت بقدميها على الأرض كالأطفال ، دخلت البيت وبـدأت في تكسير كل ما رأته من تماثيـل ومرايـا ، ثـم التقطـت سـكينًا مـن المطـبخ وبدأت بشق كل ما هو محشو بالصوف والقطن وهيَ تصرخ ، ابتسم أثناء مشاهدتها لأنه تأكد أنها مجنونة تمامًا ولكنه أخفى إبتسـامته خشـيةً منهـا ثم بعـدما دمـرت كـل مـا أمامهـا وجعلـت المنـزل في حالـة مزريـة وقفـت بالمنتصف :

ـ ذلك ما حدث لمنزل أمي ..

ـ لم أحدثه أنا ..

ـ ولكنك تعرف مَن أحدثه .. هل ستخبرني الآن ؟

ـ يوجد أربع غرف نوم بالأعلى.

نظرت له بغضب ثم حملت السكين و وضعتها على قلبها وهيَ تهدده :

ـ أليست حياتي مهمة ؟ .. أخبرني الآن ..

ـ لن تفعليها قبل أن تطمئني على أمك ..

نظرت له بدهشة لأنه يعلم ذلك :

ـ هل ستخبرني أم لا ؟

ـ لن تعرفي الآن ..

ـ عندما سأعرف أثناء الوقت المناسب المثالي الذي ليس له مثيل .. هل سأعرف منك ؟

ـ لا ..

ابتسمت له بحُنُو وخجل ثم قالت وهيَ تقترب :

ـ حسنًا .. ولكنك ستجد أمي ..

ـ سأجدها وأحضرها لكِ ..

ـ أعتذر عن ما سببته ويمكنني التعويض ..

ـ لا بأس .. لا عليكِ ...

ضربته بالسكين في معدته وهيَ تنظر في عينيه بشرٍ:

ـ أخبرني الآن .. مِن مَن سأعرف ؟ وأين أمي ؟ وإلا لن أضمد جرحك ...

نظر لها بإستغراب ثم تعرّق من الألم ولكن لم يسقط على الأرض فلاحظت هيَ ذلك :

ـ هل أنتَ بخير ؟

ـ نعم .. ليست سوى طعنة بسيطة ...

ـ أتمزح ؟

ـ أتمزحين أنتِ ؟

ـ ماذا يجب عليّ أن أفعل ؟

أشار لها لتصعد لأعلى :

ـ يوجد طفلة مُخدرة بالأعلى .. أغلقي عليها الباب .

ـ مُخدرة !! ..

ـ ليس وقت الاستفسار ..

ـ ماذا أفعل ؟

ـ أحضري عُلبة الإسعافات الأولية ويوجد عُلبة جراحة بجانبها أحضريها ..

ركضت لأعلى وهيَ تسب نفسها بداخلها ، ذهبت للطفلة لتجدها مُوصلة بمحاليل ولم تكمل عامها الثالث وشعرت بأمرٍ غريب عند رؤيتها ولكن كعَادتها تجاهلته ، أغلقت الباب عليها ثم أحضرت ما أخبرها به ونزلت له وساعدته على الجلوس وأحضرت له ماءَ وتناول حبة مُخدرة لتعفيه من الألم وأخبرها أنّ الجرح طفيف وما عليها سوى تنظيفه وتضميده وبالفعل قامت بذلك بإحتراف جهلت إدراكها به وهيَ نادمة على ما فعلته فما يبدو أنه حاول حمايتها .

أخبرت كريم أنها بخير على الهاتف وبقيت تهتم بيُوسف حتى الفجر ، رنّ هاتفه فتجاهلته ولكنّ المتصل أعاد الإتصال كثيراً حتى أجابت فآتاها صوت إمرأة :

ـ يوسف .. لماذا لا تُجيب ؟ .. تمّ خطف والدة نور .

ـ هل تعرفين مكانها ؟

ـ نور! أين أنتما ؟

ـ هل تعرفين مكان أمي أو مَن إختطفها ؟

ـ هل يمكنك إعطاء الهاتف ليوسف ؟.. أحتاجه .

ـ لا يمكن ..

ـ كيف لا يمكن ..؟

ـ إنه مُصاب ..

ـ كيف أصيب ؟ .. مَن أصابه ؟ .. هل أنتِ بخير ؟

ـ أنا بخير ! .. ألا يُفترض أن تسألي عنه !

ـ هل يمكنك الإجابة عن أسئلتي ؟

ـ ترك السؤال بدون إجابة يُغضب ..

ـ نور .. لا تلعبي معي ..

ـ طعنت يوسف بالسكين ولكنه جرح طفيف وسيتعافى حتى الصباح ..

ـ طعنتيه !! .. لماذا ؟

ـ لأنه لا يُجيبني ..

ـ أين أنتم ؟

ـ في منزله ..

ـ سآتي في غضون ساعتين .. إياكِ أن تذهبي مع أحد وأغلقي الباب جيدًا واذهبي لغرفة النوم الكبيرة ستجدين صندوق أسود افتحيه به مادة بيضاء قومي برشها على النوافذ والباب وأي مدخل.

ـ أذلك بخور أم ملح خشن للحسد ؟

ـ لا تسخري مني وافعلي ذلك .. حياتك بخطر شديد طول إصابة يوسف ..

ـ هل ستخبريني بمكان أمي ؟

ـ نعم .. صدقيني سأفعل ..

أغلقت الهاتف وبدأت في تنفيذ ما قالته ولا تعرف لماذا ولكنها شعرت أنه يجب عليها فِعل ذلك وقامت برش النوافذ والأبواب ولكنها تجاهلت غرفة الطفلة و صعدت لغرفة النوم مجددًا وبدأت تبحث عن أي دليل أو شئ يساعدها ولكنها عجزت عن إيجاد أي شئ حتى عادت ، جلست بجانبه وغفوت قليلًا ثم استيقظت بفزع على صوت الجرس وسألها بحذر :

ـ مَن يطرق ؟

ـ لا أعلم ..

ـ كيف لا تعلمي ؟

ثم لاحظ المادة البيضاء :

ـ من أين أحضرتي ذلك ؟

ـ اخبرتني به إمرأة تحدثت على هاتفك و..

ـ حسنًا إنها عُنُود .. افتحي الباب.

نهضت نور لتفتح الباب فكانت نفس المرأة التي رأتها بالحفلة طويلة .. شديدة الجمال .. واثقة كثيراً بنفسها .. ترتدي بنطالًا أسود وسترة من الجلد ، نظرت لها بجمود وقبل أن تخطو للمنزل نظرت لنور ثم للمنزل بغرابة :

ـ ذلك المنزل ليس آمنًا ..

نظرت نور للتدمير الذي فعلته منذُ ساعات :

ـ أنا فعلت ..

ـ لم أقصد ذلك.

دخلت عنود للمنزل ثم لمحت يوسف جالسًا وبدا عليه التعب فركضت لـه بقلق :

ـ هل أنتَ بخير ؟

ـ نعم .. هل المنزل ليس آمنًا ؟

ـ أشعر بذلك ..

ـ إذًا يجب أن نرحل.

أشارت عنود برأسـها إيجابًـا ثـم سـمعت نـور صـوت بكـاء طفلـة بـالأعلى وهمّت بالصعود ولكنها توقفت عندما لم يحرك أحدهما ساكنًا ونظرت لهما بإستغراب :

نور : ألن تروا الطفلة ؟

عنود : لماذا نراها ؟

نور : تبكي ..

يوسف : لا أحد يبكي ..

نور : أتمزحون ؟

أكملت طريقها لتصعد ولكن يوسف أخبر عنود لتوقفها فذهبت لها:

عنود : سأرى أنا الطفلة واخرجي أنتِ مع يوسف ..

نور : لماذا أخرج ؟

يوسف : سنرحل ..

نور : لماذا ؟ .. لن أخرج للخارج قبل أن أعرف مكان أمي ..

نهض يوسف مقاومًا لجرحه وسحبها من يدها لتخرج مجبرةً :

ـ ما الذي يحدث ؟ .. مِن ماذا نهرب ؟ ..

ضغط بقسوة على ذراعها ونظر لها بغضب وقال :

ـ أنا اسوأ منكِ بكثير عند الغضب ..

شعرت بقسوته ؛ فصمتت وتحركت خلفه ببطئ وهيَ تشعر بالتعب من كل ما حدث ، ركبت جانبه في السيارة :

ـ لن تفعلين أي شئ لن يُقال لكِ ..

ـ حسنًا ..

ـ صدقي أنّ كل ذلك لحمايتك .. وأعدك سأعيد والدتك لكِ بأسرع وقت ..

انتظروا قليلًا حتى ظهرت عنود يبدو عليها الإرهاق وكأنها كانت تحارب وكانت تحمل الطفلة :

يوسف : هل مات جميعهم ؟

عنود : نعم ولكن سيأتي غيرهم .. قُد السيارة بعيدًا .

كانت حوالي السادسة صباحًا ولم تجد نور مفر منهم سوى الطاعة لتجد أمها وتعرف سبب الكوابيس المتتالية والأسرار المخفية عنها ، كانت صامتة هادئة مُتعبة طوال الطريق الذي لا تعرف نهايته حتى أنها غفت قليلًا ، وصلوا لبيت ضخم من دورين وحولها حديقة بسيطة ، وأثناء ملاحظتها للطريق أدركت أنه في منطقة حلوان ، ترجل ثلاثتهم من السيارة وحملت عنود الطفلة وأدخلتها للمنزل ووقف يوسف أمام نور :

ـ سأخبرك بكل شئ .. ولكِ خيار التصديق أو لا.

ـ غيّر ضمّادة جرحك بعدها نتحدث.

أتت لها عنود وأخبرتها أن تصعد معها لأعلى ، دخلا سويًا غرفة نوم بسيطة واسعة كلها باللون الأبيض وبها حمام صغير دُهشت عندما رأتها نور :

ـ تلك الغرفة مثيرة للنوم ..

ابتسمت عنود بلُطف :

ـ إن أردتِ النوم .. ارتاحي قليلًا فلربما بعد ما تعرفيه لن تستطيعي النوم ..

ـ لا أنام جيدًا منذُ يومين ..

ـ تلك ملابس من خاصتي .. أعلم أنكِ لا تحبين الملابس الغامقة ولكن لا ألبس غيرها.

ـ لا بأس .. لن تفرق بعد الآن.

ـ ستعرفين كل شئ .. سنكون في الأسفل.

خرجت عنود تاركة نور مستسلمة لحيرتها.

****

" لا شئ يخيف،كل شئ يمكن فهمه "

غيوم ميسو

نزلت عُنود لترى يوسف وقد كان جالسًا مع الطفلة نالا يداعبها بحُب فاقتربت منهما بهدوء :

ـ يوسف .. يجب علينا التحدث.

أشار لها لتقف في الشرفة وذهبت وآتى خلفها :

ـ هل تظن أنها قوية كافية لما سيحدث ؟

ـ إنها قوية ولكن تعبر عن كل المشاعر داخلها بالغضب والتدمير ولا أنكر أنّ أحيانًا يكون ذلك الغضب مفيد ..

ـ ستتحدث معها وتخبرها كل ما اتفقنا عليه وقرأناه من الرِواية ، ولكن من الضروري أن لا تعرف بأمر والدها وجدها.

ـ تعرفين أني أكره الكذب.

ـ كلانا مجبران على ذلك ..

ـ ماذا عن نالا ؟

ـ لا تقلق عليها ..

نزلت نور وهيَ ترتدي بنطالًا أسودًا من الجلد وقميصًا واسعًا أسودًا وقد عجزت عن لف شعرها لطوله فتركته ليتخطى خصرها وبدا عليها الهدوء الشديد ، تركتهما عنود لترى الطفلة نالا التي بدأت في البكاء ونظر لها يوسف ليُلاحظ أنّ عيونها خضراء تميل للون الأزرق وقد اشتاق لذلك اللون :

ـ كيف هيَ قهوتك ؟

ـ لن أشرب شئ ..

ـ لماذا ؟

ـ كي لا أفقد وعيي ومعه ساعات من حياتي ..

ـ لا أعطيكِ المخدر بتلك الطريقة ..

ـ كيف إذًا ؟

ـ لا يمكنني إخبارك ..

ـ حسنًا .. هل نبدأ ؟

ـ كيف تريدين أن نتحدث ؟ هل أخبرك بكل شئ دفعة واحدة أم تسألين وأنا أجيب ؟.

ـ أين أمي ؟

ـ مع عزيز ..

ـ ومَن هو عزيز ؟

ـ المبعوث بإختلاط بلاد شمال العِراق بجنوبها ..

ـ أتمزح معي ؟ ..

ـ لا ..

تنهدت بملل: لماذا يختطفها ؟

ـ لأنه يريد الحجر ويريد قتلك ..

ـ أي حجر ؟ .. ولماذا يُريد قتلي ؟

ـ الحجر الذهبي ذو رمز عِشتار ويُريد قتلك لأنكِ المبعوثة بإسم الآلهه عِشتار ...

ضحكت بسخرية شديدة وما كان له إلا أن يبتسم :

ـ حقًا أنها مزحة جيدة .. حقًا ..

ـ نور .. ليست مزحة ..

غيّرت ملامحها لتتشكل بجدية قاحلة :

ـ كيف ليست مزحة ؟ .. أتعتقد أنني أصدق ما تهذيه الآن ؟

ـ حسنًا .. اجلسي.

جلست أمامه وبدأ في التحدث :

ـ في عقبة مفقودة حدثت حرب بين بلدتين في العراق إحدهما في الشمال والأخرى بالجنوب .. رغب قائد بلاد الجنوب (خُليّل) بالإستيلاء على بلاد الشمال وكان جيشه أقوى جيش ولذلك وجب على كل قرى بلاد الشمال الإتحاد فيما بينهم ، قريتين نظما الحرب وإتحاد الجيوش قرية عاذوراء قائدها سُوران وقرية المَاسِين قائدها القهّار الذي تمّ إغتياله بسبب مؤامرة حاكها جنود خُليّل فتولّت إبنته رَوند كل مسئولياته ولكن تفككت الوحدة بسبب عدم رغبة سُوران في أن تتولى الحرب رَورند لأنّها امرأة ولكن السبب الحقيقي أنه رغب في حمايتها ونشأت خِلافات لثلاث سنوات بين القريتين واستغلّ خُليّل ذلك واستولى على بلاد الشمال بالعديد من الخِدع وحينها اختلطت بلاد الشمال بالجنوب واتُخِذ سُوران أسيراً وحاولت روند إنقاذ ما تتمكن منه وحينما نجحت في تهريب الكثير من الأبرياء مع بعض

كنوز القُرى قام خُليّل بإعدام عائلتها بأكملتها بالأطفال بالنساء واختتم بسُوران وحينها نذرت روحها للآلهة عِشتار وهيّ تُقسِم بدمائهم أنّ التاريخ لن يذكر أي شئ عن تلك الحقبة إلا إن أعيد الزمان وتغيّر كل شئ ثم قالت روند لخُليّل أنّها ستُبعث في جسد لتتخلص منه بعد مرور قرون ولن تموت روحهما إلا بعد أن تنتقم.

قالت نور بإستعجاب وبلاهة :

ـ أكره التاريخ وكُل ما يتعلق به .. ولذلك ستُجيب أين هيَ أمي ؟

ـ مع عزيز .. وهو الذي بُعِثت فيه روح خُليل .. وأنتِ بُعِثت فيكِ روح عِشتار .. وعُنُود بُعِثت فيها روح رَوند ..

ـ وسُوران .. ؟

ـ كان قد مات وأنتِ وحدك تعلمين كيف يُمكن إعادته ...

ـ لا أعلم شئ ..

ـ بعد مرور أسبوع سنذهب لمعبد الوُركاء في العِراق وستقومين بفِعل شئ هناك لا أعلمه بالحجر الذهبي وستملكين بعض قوى عِشتار لتغيير الماضي وهدف عزيز هو قتلك لعدم تغيير الماضي وهنا سترتاح روح خُليّل وهدف عنود التخلص منهم ...

ـ وأنتَ ؟

ـ حمايتك منهم ..

ـ ولذلك حاول أحدهم طعني ..

ـ بالظبط ولكن لم أرى وجهه فمن الممكن أن لا يكون هو ..

ـ متى سنذهب لإنقاذ أمي ؟

ـ ليلًا .. سآخذها لمكانٍ آمن ..

ـ وكيف علمتم أنّ روح عِشتار بُعثت فيّ ..؟

ـ عثرت عليّ عنود قبل سنوات ومندُ ذلك الحين وكلانا يحميكِ ..

ـ كيف لم أراكم ؟

ـ رأيتينا وقمتِ بضربي أكثر من مرة ولكني كثيراً ما مسحت تلك اللحظات من ذاكرتك ..

ـ ولماذا لم تفعل ذلك في الأيام الأخيرة ؟

ـ فعلت ولكنك تذكرتِ بشكل ما لم أدركه.

ـ ولكن لا أفهم شئ ..

ـ لا بأس ، كُل شئ سيكون عل ما يرام، وصدقي أني موجود دائمًا لحمايتك.

نظرت له نور بإطمئنان وقد نجح في أن يجعلها تكسب ثقته :

ـ هل لنا بكوبان من القهوة الآن ؟

ابتسمت بعفوية ثم عادت لملامحها بجدية :

ـ ليس بعد .. كيف سنذهب لأمي ؟

ـ لن نذهب .. أنا سأذهب مع عُنُود وأنتِ ستبقين هنا .

ـ أتعتقد أنه يمكنك كبحي ..

ـ ماذا إذًا ؟ هل ستأتين معنا ؟

ـ لا يمكنني حمايتك وإنقاذ والدتك في نفس الوقت كما أنكِ ستبقين هنا مع نالا ..

قالها مشيراً للطفلة التي تلعب مع عُنُود :

ـ هل هيَ إبنتك ؟

نظرَ لها نظرةً ذات معنى ولم يجيب:

ـ كيف أثق أنكَ ستُعيدها بخير ؟

ـ يمكنني أن أعطيكِ مُنومًا لليل كي لا تقلقي ..

ـ لا .. إياكَ أن تفعل ذلك ..

ـ سنذهب ليلًا ...

ـ ألا يمكن الآن ؟

ـ لا يمكننا إقتحام المكان ظهراً ...

ـ هل يمكنني التحدث مع كريم ؟

ـ لا

ـ كيف لا ؟ هل أنا مخطوفة ؟

ـ لا ترفعي صوتك عليّ ..

ـ سأرفعه .. ما الذي سيحدث ؟

لاحظت عُنُود أنهما على حافة شِجار فتدخلت :

ـ نور .. سيتم تحديد مكاننا من الهاتف ..

أخذتها عُنُود لمكان قائلة :

ـ لديّ حل لتضييع الوقت حتّى المَسَاء.

سارت نور معها لحديقة المنزل فوجدت كوخ كبير ، دخلت على غير توقع بمُحتواه فوجدت مكتبة كبيرة تبدو كالجنة لمُحبي القراءة ، بها الكثير من الكتب والروايات والمراجع والقواميس :

ـ لستُ من هُواة القراءة كثيراً ولكن تلك الغرفة ستجعلني أغرق بها.

ـ إذًا هل أقترح أم تبحثين أنتِ ؟

ـ لا أعلم .. اقترحي أنتِ ...

ـ أعشق الروايات الفرنسية وخاصةً لكاتبي المُفضل غيوم ميسو، لديه الكثير من الروايات ولكن مُفضلتي هيَ لأنني أحبك ..

ناولتها الرواية في يدها :

ـ غُلافها رائع ..

ـ تلك بوابة رائعة للدخول في عالم الروايات .. إن أردتِ أي شئ فأنا ويُوسف على بُعد نداء واحد ..

مرّ عِدة ساعات ولم تخرج من مكَانها فقاطعها يُوسف وقد طرق باب المَكتبة بهدوء :

ـ هل أنتِ بخير ؟

ـ نعم .. لماذا ؟

ـ مرّ ثلاث ساعات ..

ـ حقًا ؟

ـ لأنني أحبك ؟

ـ نعم .. اقترحتها عُنُود ..

ـ " لا شئ يُخيف .. كل شئ يمكن فهمه "

ابتسمت له لأنّ ذلك المقتطف علق في عقلها أيضًا :

ـ جائعة ؟

ـ لن آكل شئ ..

ـ كما تريدين وعلى كلِ سأكسب ثقتك ليلًا .. أنهي تلك الرواية الآن .. لا يُمكن أن تتركي أبطالها ..

خرج وهيَ جالسة مكانها ، أكملت القراءة حتى أنهتها وخرجت لترى الشمس تُوشك على الغروب ثم صعدت لأعلى فوجدت عثنُود مازالت تلعب مع الطفلة ويوسف يتحدث هاتفًا بجدية فابتسمت لكلاهما بلُطف :

عُنُود : كيف هي القراءة إذًا ؟

نور : أشعر أني سافرت لعدة ساعات ..

يوسف : إذًا هل المسافر ليس جائعًا ؟

نور : لماذا تصر على الطعام ؟

يوسف : لأجلك .. لن أخدرك بالطعام لا تقلقي ..

نور : أريد الذهاب معكما ..

عُنُود : ألم نتفق على ذلك ؟

نور : لا يمكنني البقاء في المنزل ..

يوسف : وأنا لا يمكنني تعريض حياتك للخطر ...

نور : هل ستذهب لإحضار أمي فقط ؟

عُنُود : ماذا تعني ؟

نور : الحجر كان في المنزل ...

رفع يوسف حاجبه بدهشة فقد ظنّ أنه كان بحوزتها طوال تلك المدة وتنهدت عُنُود بقلق :

عُنُود : يجب علينا أخذ الحُراس لأنهما مهمتان الآن .. إنقاذ والدتها وإسترجاع الحجر الذهبي ...

نور : إذًا هل سآتي ؟

يوسف : لا ..

نور : ماذا إذا أخذتم حجر مزيف ؟ .. يجب آن آتي معكما كي أعرف إن كان مزيفًا أم لا ..

يوسف : وكيف ستعلمين ؟

نور : أنا رأيت الحجر الأصلي وتحسسته وأعرف تفاصيله وأستطيع التفريق بينه وبين المزيف ..

عُنُود : أظن أنها مُحقة ..

بدأ الغضب يطغي على يوسف بالشكل الذي يُرعِب حتى أنّ ثقة نور اهتزت وأثناء صمت الجميع تنهد يوسف محاولًا التحكم في غضبه ثم أخبرها أن تأتي خلفه ، سار للقبو وفتح بابًا وبه سُلم لأسفل ، ظنّت لوهلة أنه سيقتلها ولكنّها تابعت السير خلفه حتى أنهت السلالم فكانت غُرفة صغيرة ممتلئة بالأتربة ، اقترب من الحائط و وضع يده فتحرك الحائط الآخر خلفها فابتعدت قليلًا ثم حاولت إخفاء إبتسامتها حينما رأت غرفة واسعة كبيرة مليئة بالأسلحة المختلفة وذوي الأشكال الغريبة أيضًا وكان أول ما لمسته هو خنجر مماثل لما طُعنت به :

ـ ذلك الخنجر يقتل الروح التي يُمكن أن تُبعث.

ـ إذًا لم أكن سأموت.

ـ بلى .. كنتِ ستموتين ..

ـ كيفَ أنقذتني ؟

ـ لم أنقذك .. عُنُود أنقذتك عن طريق تعويذة تُقرأ للشفاء .. لا أجيد قراءتها ....

ـ لماذا أحضرتني هنا ؟

ـ لأعرّفك مَن نواجه بالظبط وكيف نواجهه ..

ـ هل سآتي معكما ؟

ـ نعم .. يا ذات العِناد الأزرق.

لم يكن ذلك الإسم مختلفًا على سمعها كثيراً :

ـ عِناد أزرق !

ـ نعم .. لأنكِ مُعانِدة ..

ـ لماذا أزرق ؟

ـ لون عينيكِ الذي لا يليق مع تلك المغامرة ...

ـ لماذا تظن ذلك ؟

ـ كيف ستجعلين أحدهم يهابك بتلك العينين ؟

ـ هل يجب عليّ أن أجعله يهابني ؟

ـ كيف ستدافعين عن نفسك إذًا ؟

ـ بعض الحركات التي تعلمتها من مدربي..

ـ جيد جدًا ..

ـ وربما سأضربه بأقرب شئ لي وسأصرخ وأعتقد أني سأناديك .. هل ستُجيب ؟..

ابتسم بعفوية :

ـ صدقي إن لم أكن أتعارك مع أي أحد آخر سأجيبك.

ـ ماذا سنفعل الآن ؟

مسك مسدسًا صغيراً بيديه وناولها إياه :

ـ هل سأمسك هذا ؟

ـ نعم وستطلقي أيضًا .

وقف بعيدًا و وضع بعض الزجاجات التي ستُصوب عليها ، عاد و وقف بجانبها وأخبرها أن تفتح حماية السلاح وأن تصوب إتجاه زجاجة ثم حاولت فِعل كما ترى في الأفلام ونجح معها الأمر وفتحت حمايته ، صّوبت وبعد الإطلاق وجدت أنّ الرصاصة ذهبت للسقف فنظرت ليوسف ببلاهة :

ـ مَن أخبرك أننا نصطاد الطيور ؟

ـ هل ستخاف نالا من الصوت ؟

ـ الحائط عازل للصوت .. قفي بإستقامة وانظري لهدفك بتركيز واعتبري أنّ هناك خطًا مستقيمًا بين السلاح والهدف لا يمكن ثنيه .. اطلقي ...

اطلقت ولم تفلح للمرة الثانية فتركها لتحاول العديد من المرّات حتى نجحت في المرة السادسة فأخذت تقفز كالأطفال وهو يراها مبتسمًا وساعدها في التعلم على بعض الأسلحة الأخرى فأبهرته ببعض الحركات القتالية التي تُجيدها ، مرّت بضعة ساعات وأتت لهم عُنُود :

عُنُود : ألم يحن وقت الذهاب بعد ؟

يوسف : كم الساعة ؟

عُنُود : العاشرة.

يوسف : كيف !

نظر يُوسف لنور بتعجب قائلًا :

ـ كيف لكِ القدرة على سرقة الوقت هكذا ؟

ابتسم كلاهما و أخبرتهم عُنُود أنها ستُغير ملابسها وتبعتها نور وأعطتها زيًا أسودًا كاملًا من الجلد وقفازات صوفيه وأخبرتها أن تضع سلاحين خلف خصرها وبعض الخناجر في أسفل قدمها وأعطتها أخيراً بعض الدبابيس المَصنوعة من معدن قوي لتضعها في جيب السترة وعجزت عن رفع شعرها نظرًا لطوله وثِقله فاكتفت ببعض الجدائل .

خرجت لتنظر أنّ يوسف تجهّز بثياب مماثلة وقد حضر ـ أشخاص بنفس الهيئة فأخذت عُنُود تعرّفها بهم والذين من المُفترض أنهم مبعُوثُون أيضًا ولكن عن حُرّاس رَوّند ، حان وقت الذهاب وتواجدت عربتان إحداهما يُسيّرها يوسف ومعه نور والأخرى عُنُود وأخذ الطريق حوالي ساعة كانت نور خائفة ولكنها نجحت في إخفاء ذلك ، توقفت السيارة أمام منطقة معزولة في منطقة صحراوية ،نزل الجميع من السيارة وبقى يوسف بجانبها :

ـ لا تنظري أنه فارغ .. مخفي كما نحن الآن ..

ـ هل نحن مخفيين ؟

ـ نعم

أخرج عدسات شفافة وأخبرها أن تلبسها :

ـ لن تبتعدي عني إلا لو أخبرتك ..

ـ حسنًا ..

وضعت العدسات فرأت الصحراء مليئة بالأبنية مختلفة الأشكال ويوجد بها مستودع رمادي كبير أشار عليه وسيم (أحد الحُراس) متحدثًا :

ـ ذلك هو ما يتواجد فيه عزيز وأعتقد أنّ الحجر هُناك ...

يُوسف لنور :

ـ لا تخافي .. وانتبهي من خلفك جيدًا فدائمًا ما يظهرون من الخلف ..

بدأت عُنُود بتوجيه الجميع لأماكنهم حتى رَسَت مهمة إحضار الحجر على نور ويُوسف :

عنود : أهم شئ أن لا يتم كشف أمرنا .. نحنُ في وَكْرهم ولا يمكننا الموت الآن ..

ثم إنطلق الجميع وبدأوا في تأمين الأماكن حتى يذهبا للمستودع.

بدأ يوسف بالتسلسل بهدوء وهيَ خلفه وأخبرها أن تخرج سلاحها لتمسكه ولا تُطلق منه إلا للضرورة القُصوى لأنّ صوته سيفضح أمرهم ، رأى بعض الأمن بأسفل المستودع فقرر الصعود على أحد المباني لتفادي الحُراس والدخول من الأعلى وبالفعل دخل أحد المباني وصعد سُلمها بهدوء حتى قاطعه أحدهم فأطلق عليه فدوى صوت سقوطه عاليًا مما جعل البقية يتنبهون فقال بحذر :

ـ اصعدي لأعلى مسرعة وناديني إن هاجمك أحد ..

صعدت بهدوء وتركته حتى أنهت السُلم وحينها رأت أحدهم يتحرك على السطح فسحبت خنجرها وتحركت خلفه ثم طعنته من الخلف ولم تترك الخنجر فلم يتناثر أي دماء منه حتى أنه إلتفت لها ونظر لها بقسوة حتى

سقط على الأرض وتحول لرَماد كالذي رأتـه في مكـان عشـتار و أثنـاء ذلـك شعرت بصوت شد أجزاء السلاح خلفها فنظرت لتجـد أَنـه يوسـف يُصـوب سلاحه ناحيتها فنظرت له بخوف وإستغراب :

ـ ما الذي تفعله ؟

فوقع أيضًا ليتحول لرَماد فتجد يُوسف آخر من أطلق عليه من ظهره وجـاء بتنهد وإرهاق ومسك يدها :

ـ هل أنتِ بخير ؟

ـ انتظر .. لا تلمسني .. مَن أنت ؟

ـ ماذا تعني ؟

ـ رأيت واحدًا آخر منك وقتلته ..

ـ إنها خدعة نور ..

ـ بماذا لقبتني اليوم ؟

لم يجيبها و بدون أن تستغرق في التفكير طعنته في معدته ونظرت له وهـو يعجز عن التنفس وبكت بحُرقة :

ـ أعتذر .. لا تمت ..

ولكنه سقط أرضًا وهو رمادٌ مرة أخرى ثم سقطت معه وجلست تبكي حتى أتى من خلفها أحدهم فسحبت سلاحًا على الأرض ورفعته إتجاهه فكان هو مرة أخرى :

ـ ما الذي حدث لكِ ؟

ـ لا تقترب .. سأطلق ..

ـ حسنًا .. اهدأي كي لا يعرفون مكاننا .. هل آذاكِ أحد ؟ هل أنتِ بخير ؟

ـ لقد طعنتك ومُت الآن ...

ـ لم تقتليني ..

ـ ماذا لقبتني اليوم بسبب عيناي ؟

ـ العِناد الأزرق ...

تركت السلاح أرضًا وهيَ ترتعش :

ـ أعتذر..

ـ لا بأس أنتِ بخير ..

اقترب منها واحتضنها بهدوء حتى تهدأ وكفّت عن البكاء وأعادوا السير حتى وصلوا لسقف المستودع وقفزا ، قتل يوسف كل مَن قابله وأتت له رسالة على الهاتف وبعد قراءتها :

ـ عُنُود .. وجدت والدتك وأخرجتها ..

ـ هل هيَ بخير ؟

ـ نعم وسنجعلها تنسى كل شئ .. لا تقلقي ..

وصلوا للسُلم الخاص بالمستودع ونزلوا ولم يكن يوجد سوى عزيز جالسًا على مكتبٍ صغير فبادر يوسف بالهجوم ورفع سلاحه عليه :

ـ أين الحجر الذهبي ؟

رفع حاجبيه بدهشة وابتسم بسذاجة :

ـ انتَ هُنا في مكاني.

ـ أين هو الحجر ؟

ـ كيف لكَ الجراة بإحضارها هنا ؟

ـ لن أكرر سؤالي مرة أخرى ..

ـ لا تكرره .. أتعلم كنت اخطط للهجوم عليكم لأحصل على الحجر.؟

ـ أليسَ معك ؟

ـ لا .. لن يفيدني بشئ ولكن آخر سيفيدني ..

قبل أن يفهم يُوسف شيئًا صرخت نور خلفه وقبل أن يُغيثها تُركت وحينما اقترب منها لم يُدرك سوى أنّ شعرها تمّ قصه ولم يفهم المغزى ولكنه نظر خلف الراكض الذي فعل ذلك ولم يمكنه أن يلاحقه فصرخ بغضب :

ـ لماذا فعلت ذلك ؟

هجم عليه ولكمه بغضب حتى سقط أرضًا :

ـ لماذا فعلت ذلك ؟

ـ أحب الشعر القصير ..

تناول سلاحه ورفعه عليه ولم يكبحه شئ سوى صوت عُنُود وهيَ توقفه :

ـ لن يقتله غيري وليس الآن ..

يوسف : بلى .. أنا سأقتله والآن ..

لم تجد عُنُود مفر سوى حقن يوسف ثم فقد وعيه فصرخت لها نور :

ـ ماذا تفعلين ؟

عُنُود : كي لا يقتله ..

قال عزيز بسُخرية : إلى متى ستحمينني ؟

عُنُود : حتى أقتلك.

أتى بعض الحُراس واخذوا يوسف وتبعته نور وعُنُود وذهبت نور لتطمئن على أمها وتأكدت أنها نائمة وستكون بخير وأكدت عليها عُنُود أنها ستستيقظ لا تتذكر أي شئ ووجب عليها توديعها ..

****

" الشِتاءُ بَاردٌ عَلَى مَنْ لا يملُكُونَ الذِكرياَت الدَافِئة "

دُوستُويفسكي

يجتمع كل شعور ونقيضه داخلهم وليس هناك نجاة من ذلك الأمـر ولـيس هناك مفر أو منسى فقط سواه هيَ فارغة وسواها هو منطفئ ، افعـل كـل ما تريد ولكن حذاري من الوقوع في الحب لأنّ كل ما يقـع ينكسر. كـما أنّ معركـة الحـب للشـجعان الـذين يمتلكـون روح التضـحية ولا يستسـلمون ويحافظوا على شغف قلوبهم رغم مواسم الفراق الطويلة فإن كنـتُ جبانًـا لا تحب وإن وقعت به رغمًا عنك فإهرب بنفسك بعيدًا ..

ذهبت نور إلى السيارة الواقفة النائم بها يُوسف وظلّت قلقـة تـرتعش مـن الخوف جانبه حتى أفاق :

ـ هل أنتَ بخير ؟

ـ نعم .. ماذا حدث ؟

ـ حقنتك عنود بشئ كي لا تقتله ..

ـ هل أنتِ بخير ؟

ـ بخير ..

ـ لماذا ترتعشين ؟ هل تشعرين بالبرد ؟

ـ لا .. ارغب بالنوم ولكن انتظرتك حتى تستيقظ ..

ـ حسنًا .. نامي حتى نعود للمنزل ..

ـ ولكن لن تتركني أثناء نومي وترحل ..

ـ لن أتركك .. لن أرحل .. وسأظل هُنا ..

أشارت برأسها إيجابًا ثم أمالت بجسدها قليلًا تحاول النوم وهو ينظر لها عاجزًا عن فهم سبب خوفها الشديد وإرتعاشها المُستمر و عدّل فهمه أنّ ما تمر به أمر طبيعي فلم يسبق لها الشعور بالغُربة والوحدة والخوف هكذا كما أنّ شعرها الذي يصل لخصرها أصبح أسفل أذنها الآن ، نامت بشكل طفولي سريع وكأنها انتظرت تلك اللحظة طويلًا وظلّ يراقبها ويفكر في ما وصلت بهم الأمور حتى وصلوا للمنزل و بدأ ينادي بإسمها بهدوء حتى تستيقظ ولكنها لم تفعل و هزّها بهدوء ليدرك أنّ وجنتيها حمراء فنادى بإسمها بصوتٍ أعلى ثم لمس وجهها لتتأكد شكوكه .. إنها تحترق ..!

لم تزر باله فكرة أنّها قد تُصاب بالحمّى على الرغم أنهم في نصف ديسمبر والبرد يشتد في ذلك الوقت ، حملها متلهفًا لغرفتها التي بدت له أنها سُرقت من الجنة ونزع عنها الأسلحة التي لا تُعبر عنها ثم تحدث مع عُنُود لتأتيه وذهب لإحضار صحن به ثلج ومياه باردة وقطعة قطنية وحاول أن يجعلها تتحدث معه حتى فتحت عينها المُزينة بالتعب والإرهاق :

ـ لا ت قلقي .. ستكونين بخير ...

ـ هل انتهى الأمر ؟

ـ أي أمر ؟

ـ الجلسة اليوم .. لا تتركني ..

ـ ستكونين على ما يُرام ..

كان يتحدث معها ويحاول طمأنتها بهدوء وهو يعلم أنها لا تدرك ما يجرى حولها فنجحت الحمى في جعل جسدها الذي يبدو قوي يخضع ، أمسكَ قطعة القماش القطنية و وضعها ببطئ على جبهتها فزاد إرتجافها وشهقت

وكأنه يحاول إطفاء إحتراقها بقطعة ثلج فلم تمرّ ثواني حتى تغيرت حرارة قطعة القماش فباتت ساخنة وأعاد فعل ذلك عدة مرات حتى أدرك أنه كطبيب لا يستطيع جعلها تتحسن وحده فيجب نقلها للمشفى ثم أتت له عُنُود بقلق :

ـ ما الذي حدث ؟.

ـ أصيبت بحمّى شديدة وسأنقلها للمشفى الآن .. هل يمكنك إحضار معطفي ذو غطاء الرأس ؟

ذهبت مسرعة وأحضرت معطفه وساعدته عُنُود في جعلها ترتديه كي يخفف رعشتها قليلًا وحملها في حنان وركض للسيارة التي جهزتها عُنُود وأخذت تقود بهم للمشفى وهو وضعها بين ذراعيه ساندًا رأسها لصدره وتناول زجاجة المياه و وضع القليل في كفه ومسح بها على وجهها ورقبتها حتى وصلوا المشفى وحينما دخل حاملًا لها وقف كل الممرضين بحزمٍ ثم وضعها بحذرٍ على السرير وتحدث الكثير من المفاهيم الطبية وبعد القيام ببعض الفحوصات قام بتوصيلها بمحاليل لخفض الحرارة وجعلها تستعيد نشاطها ، جلس بجانبها بهدوء يتساءل عن سبب قلقه الشديد وإنتفاضة قلبه المُبالغ فيها فمن المُفترض أنّ كُل شئ انتهى ، دخلت عُنُود لتراه جالسًا بحُزن و تمكن منه الإرهاق :

ـ هل أنتَ بخير ؟

ـ نعم ..

ـ لا تبدو كذلك ..

ـ مُرهق فقط .. هل يمكنك إحضار ملابس لها ؟

ـ حسنًا .. ولكنك لستُ بخير .. وسنتحدث في ذلك ..

تركته ليعود لأفكاره ولم يفيق من حرب الأفكار تلك سوى على صوتها وهي تستيقظ وقد فتحت عينها بإعياء وتعب :

ـ أنت هُنا .. لن ترحل أليس كذلك ؟

ـ لن أرحل وأتركك .. لا تقلقي ..

ـ أرغب بالنوم ..

ـ حسنًا ولكن بعد أن تغيري ملابسك ...

حاولت الإعتدال في جلستها وساعدها وتأكّد أنّ نبضها طبيعي وبدأ في نزع المحاليل عنها وأتت بالملابس وتركهم ثم دخل مرة أخرى عندما نادته عنود فدخل ليجدها جالسة يبدو عليها الإرهاق واقترب منها وسأل بلُطف :

ـ هل يمكنك السير ؟

فأشارت برأسها إيجابًا وبمجرد أن وقفت اختل توازنها فحملها وأجلسها على كُرسي مُتحرك ونقلها لغرفة أخرى ورافقتهما عنود وحملها مرة أخرى ليجعلها تنام ثم تدثّرت بهدوء بين الغطاء وقد خفّت رعشتها وكاد أن يخرج من الغرفة ولكن إستوقفه نداءها بإسمه :

ـ أخبرتني أنك لن ترحل ..

ـ نعم .. كُنت سأحضر شيئًا ..

ـ لا يمكنني النوم .. سأنتظرك ..

ـ حسنًا .. سأظل هنا ..

سحب كرسيًا و وضعه بالقرب منها وبعد أن تأكدت أنه لن يرحل نامت وهيَ تشعر بالآمان ..

مرّت ساعتين وهيَ تحلم وتهلوس بالكثير من الأشياء وهو نصف نائم جالس بجانبها يضحك أحيانًا ويرى نبضها أحيانًا ويفكر بذكرياتهما أحيانًا أخرى ومن ثم أتت عنود :

ـ كيف هيَ الآن ؟

ـ تبدو بخير .. لتستيقظ ونرحل ...

ـ المشفى ليست آمنة ..

تأفف يوسف ثم نهض مسرعًا واقترب منها ولفظ إسمها عدة مرات بهدوء حتى أفاقت بثقل :

ـ يجب علينا الرحيل ..

ـ الرحيل من أين ؟

ـ من المشفى فالمكان ليس آمنًا ...

ادركت بصعوبة انها في المشفى ويجب أن تنهض فحاولت التحرك وساعدها في الجلوس على كرسي متحرك وخرج من الباب الخلفي للمشفى ثم حملها مرة اخرى للسيارة وجلس في الأمام بجانب عنود التي كانت تقود مبتعدةً وهُنا أدرك كلاهما أنّ المنزل ليس آمنًا أيضًا فتوقفت بالسيارة بعد أن ابتعدا قليلًا :

عنود : إلى أين سنذهب ؟

يوسف : لا أعلم ..

كانت نور تجلس بهدوء في الخلف محاربةً التعب الذي أهلكها وتنظر من النافذة حتى قررت التدخل :

نور : جدي لديه بيت قديم في مرسى مطروح ..

عنود : هل معكِ مفتاحه ؟

يوسف : لم تتحملين برودة القاهرة .. هل ستتحملين برودة مطروح ؟

نور : مرّ عمري بتحملها .. لم أمرض بسببها ..

عنود : حسنًا هل سنذهب أم لا ؟

حلّ الصمت في السيّارة عدة دقائق حتى قطعته نور :

ـ سنذهب ولن أمرض ...

بدأت السيارة تتحرك في إتجاه الطريق الصحراوي وأدرك يوسف أنّ عناء السفر جاء ليزيد إرهاقها فكان كثيراً ما يُوقف السيارة ويحضر لها طعامًا لتتناوله أو بعض المسكنات ثم غفت قليلًا وتحدثت عنود معه :

ـ لم أنتبه لقص شعرها ..

تنهد وغضبت ملامحه عند التذكر :

ـ بماذا سيفيد شعرها ؟ ما العِبرة من الأمر ؟

ـ ذلك طقس يقوم بفعله كي يستحضر روح عِشتار وتخبره بمكان الحجر .. يجب أن تقوم به نور ولأنه يعلم أنها في صفنا سيتخذ شعرها بديلًا ..

ـ إذًا يجب علينا أن نفعله قبله ..

ـ نعم .. ولكن سننتظر قليلًا لأنه شديد الصعوبة عليها وهيَ مريضة ..

بعد عدة ساعات وصلوا وأرشدتهم نور للبيت وأخذت المُفتاح من البوّاب وكان بيتًا صغيراً من دور واحد وحوله حديقة أزهار وبها أرجوحة وبعيدًا عن رمال الشاطئ بحوالي شارعين ودخلت البيت بهدوء فكان نظيفًا مرتبًا :

عنود : إنه بيت جميل ودافئ .. لماذا لا تأتين له منذُ سنوات ..؟

نور : لم يكن أبي بجانبنا منذُ سنوات ولن نأتي أثناء غيابه ..

يوسف : سأذهب لإحضار بعض مستلزمات البيت .

عنود : ويجب أن نحضر ملابس ..

نور : ليس لدي طاقة للذهاب .. اذهبوا وأنا سأنام ..

يوسف : لن اتركك ..

نور : لا بأس .. لن يقتلني أحد .. اذهب ..

تسللت الحيرة داخله فما كانت تطلبه منه حتى الآن في لاوعيها ليس سوى البقاء بجانبه والآن تقف في وعيها وكامل إدراكها تخبره أن يذهب !

حلّت عنود المشكلة بالذهاب وإحضار كل شئ ، بعد أن رحلت بقليل أخبرت نور يوسف :

ـ سأدخل لأنام .. كل شئ هنا .. التعامل ليس صعبًا مع المنزل ..

ـ لماذا تنامين ؟ ، لأنكِ مُرهقة أم تحاولين الهُروب ؟

ـ لم أنم منذُ يومين عندما طعنتك وأنا مريضة ومُرهقة .. لا تقلق لستُ من الأشخاص الذين يهربون من الواقع عن طريق النوم ..

ـ حسنًا .. لا تنسي تناول أدويتك وإن رغبتِ بأي شئ أنا هُنا ..

نظرت له بإبتسامة ودخلت لتنام وهي تفكر في كل الأشياء التي جعلت حياتها تنقلب رأسًا على عَقب ، أتت عُنود بعد أن أحضرت الملابس والطعام وكل المستلزمات ورأته يقف في الشرفة يحاول تحديد أبعاد المنزل :

ـ تحدثت مع وَسيم وهو قادم ومعه بعض الأسلحة ..

ـ خيراً فعلتِ .. كيف نالا ؟

ـ بخير .. مع زوجي ..

ـ حسنًا ..

ـ هل أنتَ بخير ؟

ـ نعم ..

إبتسمت بخُبث :

ـ أتمنى ذلك ..

ـ ماذا ؟ .. لا تنظري لي هكذا ..

ـ أخشى عليكَ من الحُب يا أخي.

ـ لا داعِ .. فلا يُلدغ المؤمن من جُحرٍ مرتين.

أتى منتصف الليل ومعه إدراك نور فصحوت وقد شعرت أنها بكامل صحتها ، استحممت وساوت أطراف شعرها بمقصٍ وهي تشعر بالأسى عليه ثم عندما رأت الملابس التي أحضرتها عُنُود شعرت بأمر مُريب فتناولت بيدها فُستانًا أبيض قصير وشعرت أنها ارتدته من قَبل ولكنها تجاهلت ذلك الإحساس وارتدته وخرجت و وجدتهم يجلسون مع وَسيم وابتسمت عُنُود عندما رأتها :

عنود : استيقظتِ عزيزتي .. انتظرناكِ كثيراً من أجل الطعام ..

يُوسف : هل نمتِ جيدًا ؟

نور : نعم .. كما لم أنم من قَبل ...

حضّرت عُنُود الطعام بحُب وترامَت بعض النِكات في الهواء مما جعلهم يضحكون بتناغم وسعادة وهُنا شعرت نور أنها في منزلها وبين عائلتها .

وبعد الطعام جلس الجميع حول الطاولة ليتحدثوا :

يوسف : نعلم أنّ الحجر يجب أن يتواجد معنا أثناء ذهابنا معبد الوُركاء ولذلك يوجد طقس يجب فعله كي نعلم مكان الحجر ..

نور : ذلك ما سأقوم به أنا ..

وسيم : نعم ولكنّه طقس صعب قليلًا ..

عنود : هل ستستطعين القيام به ..؟

نور : ما هو ؟

كان يوسف يجلس بتوتر ويهز قدمه خائفًا عليها ولكن عنود هدأته دون أن تلاحظ نور :

وسيم : ستعرفين الآن ...

نهض جميعهم ونزلوا للحديقة والتي كانت تمتلئ بالشموع التي جعلتها تتساءل :

نور : كيف لم يجعل هواء البحر الشموع تنطفئ ؟

إبتسم الجميع من خَلفها :

ـ ستجلسين هُناك في وضعية اليوجا.

قالها مشيراً على بعض العُشب الذي يحيطه الشموع فذهب وجلسَ وقام بتشغيل (معزوفة من أجل إليزا) وأخبرها أن تُغمض عيناها وقرأت عنود بعض الطلاسم غير المفهومة ثم توقفت في نقطة على أمل أن ترى نور أي شئ ولكن رأت إمرأة تقف على الشاطئ بظهرها وأتى لها رجلًا واحتضنها وهو يحمل طفلةً ولكنها لم ترى وجه أي أحد منهم ثم ورأت ملفِ ما في مكانِ كشقة قديمة مهجورة مليئة بالدُمى المُرعبة ويُكتب على بابها إسم (المحامي محروس صِدقي) وبدون مُقدمات فتحت عيناها بشهقة وأدركت أنها تنزف دمًا من أنفها واقترب منها يوسف بإنتفاضة واطمئنّ على نبضها وسألها أن تمشي للداخل وسارت وهو بجانبها يساندها حتى أجلسها وقاس ضغط دمها وسكرها وما لبثت تخبره أنها بخير وذلك أمر عادي ولكنه لم يصدقها حتى أنه أحضر أدوية لتأخذها وهيَ تعاند معه حتى استسلمت وتناولتها وفي النهاية بعد أن اطمئن عليها تمامًا سألتها عُنُود :

ـ ماذا رأيتِ ؟

فكرت لثوانٍ أنها لن تخبرهم عن رؤيتها الأولى وحكَت لهم رؤيتها الثانية وتعالت الدهشة على ملامحهم :

يوسف : ومَن هو محروس صِدقي ؟

وَسيم : أليس محاميًا ؟ .. إذًا سهل إيجاده ..

أخرج وسيم هاتفه وبدأ بالتحدث :

وَسيم : سيخبرني أصدقائي بكل ما يتعلق به في خلال ساعة ..

عنود : هل تشربون القهوة ؟

نور : أريد السير على الشاطئ ..

نظر لها يوسف بغضب قلقًا :

نور : ماذا !.. لن يأكلني قرش بالتأكيد ..

خرجت وهو خلفها و تركت حذاءها وفعل مثلها وبدأت تنظر في الأمواج المتلاطمة ويقف خلفها ينظر لشعرها القصير بأسى :

ـ يمكنك الوقوف بجانبي .. وليس خلفي ..

ـ أحاول القيام بمهمتي ..

ـ ألن تحميني وأنت تقف بجانبي ؟

طاوعها و وقف بجانبها :

ـ سأسألك أسئلة وستُجيب على جميعها ..

ـ لماذا ؟

ـ لأنني أريد ذلك ..

ـ لستُ مجبراً ..

ـ لا تكون فظًا ..

ـ حسنًا .. اسألي ..

ـ هل سبق لكَ وقتلت أحدهم ؟

ـ لا ولكن مات بين يدي الكثير لأخطاء لستُ فاعلها .

ـ هل ظلمت أحد ام كنت المظلوم دائمًا ؟

ـ ظلمت بالتاكيد وكنتُ مظلومًا أيضًا .

ـ هل تعتقد نَفسك شخص سئ ؟

ـ لا .. أنا شخص منطقي واقعي لا أؤمن بالخرافات والخيالات ...

ـ هل تحب تخيل حياتك وكأنّك شخص آخر ؟

ـ لا فأنا أتقبل حياتي وذاتي ولا داعِ للتغيير ..

ـ لماذا تتحدث كالإنسان الآلي بلا مشاعر ؟

ـ أتحدث بواقعية وإجابات منطقية ..

ـ اتمنى أن تجد مَن تقتل ذلك الإنسان الآلي ..

ـ وجدتها ..

ـ هل أنتَ متزوج ؟

ـ لا .. انفصلنا .. أعتقد ذلك ..

ـ أعتذر ..

ـ لا بأس

ـ هل يمكنني سؤالك عن السبب أم إنه خاص ؟

ـ عدم التوافق الفِكري وكانت تصدق في المُعجزات والقصص الخيالية والأمير الوردي المُنتظر الخالي من العُيوب ..

ـ بالطبع لم تنجح في جعلك أميراً لها ...

ـ هل أسألك أنا ؟

ـ اووووه .. تتبادل الحديث .. حسنًا ..

ـ هل تبدو لكِ أي أحداث مألوفة ؟

ـ لا ..

ـ ما هدفك تلك الفترة ؟

ـ الإنتهاء من أمر عِشتار ثم إيجاد وظيفة جيدة ..

ـ هل سبق لكِ وأحببتِ وغدًا يُدعى أحمد ؟

ـ لا أعرف أحد بذلك الإسم ولماذا يكون وغدًا ؟

ـ هل نعود ؟

ـ تبدو لطيفًا من الخارج .. على عكس ما بداخلك ..

ـ ماذا تقصدين ؟

ـ يبدو لي أنّك صُفعت من الحياة عدة مرات ..

تركته عائدة للمنزل وهو نظر لدقائق سارحًا بما ولّت إليه الأمور ، تبعها للمنزل الذي وقّف به وسيم وعنود ينتظراهما :

وسيم : أخبرني صديقي عن ذلك المُحامي ..

نور : ماذا قال ؟

وَسيم : محامي تم قتله في الخمسين من عُمره لأنه تولّى قضية للدفاع عن قتل مجموعة من الفتيات بعد تعذيبهم وأعطاني عُنوان منزله ..

يوسف : أين ؟

وسيم : بالقرب من مطار الإسكندرية في إحدى العمائر القديمة والتي أفرغَت لأنها ستُهدم قريبًا ..

عنود : إذًا سنتحرك للإسكندرية الآن ..

تحرك الجميع للسفر بعد ساعة وبدأت رحلة أخرى لم يستعد لها أي أحد ولم تكن نور خائفة بل جلست بثقة وقوة وكانت أقواهم عندما وصلوا ..

كانت عِمارة طويلة باللون البنيّ الرَمادي الباهت في صفِ طويل من العمائر والتي بدأت الحكومة في هدم العمائر المجاورة لها بعد إخلاءها من الناس بسبب ضَعف البِناء ، واتجهت نور بهدوء وقبل أن يسأل أحدهم عن أي شئ سارت في المقدمة متجاهلة أصوات الهدم وتحذيرات الجميع ودخلت بوابة العمارة لتجد بعض الكلام المكتوب على الحائط وقد شعرت به وأتت لها خيالات غريبة كصوت أطفال يلعبون وانتهت بصُراخ ، بدأت في الصعود على السُلم وهيَ تتحسس تراب الحائط وناصية السُلم وتشعر

أنه يخبرها بشئ فتصعد بلهفة أكثر لأنها تسمع نداء بإسمها فتتبع حدسها للدور الخامس وتختار الشقة على اليمين وتلمس إسم محروس صِدقي بيدها ثم ترى الباب وفتحته دون طرق فلم يكن مُوصدًا لتجد صالةً مليئة بالكراسي القديمة التي تحمل دُمى مشوهة بالدِماء وتُشيح بنظرها على اليمين لتجد مرآة فتجد بها أنّها قد شاخت وتغيرت ملامحها لإمرأة لا تعرفها فلم تصرخ أو تنتفض كما لو تعلم أنه سيحدث كذلك ، سارت قليلًا في الشقة حتى ترى دماء جافة على الأرض ثم دخلت إحدى الغُرف لتجد حبلًا معلق بالسقف وأسفله كرسيٌ مائل ، دخلت غرفة الأطفال فوجدت دِماء حديثة على السرير ويوجد سرير صغير لحديثي الوِلادة يتحرك ، لمحت أحدهم يتحرك في الصالة فخرجت بجُرأة تُحسد عليها لتلمح إطار لوحة الموناليزا مكسور ويتساقط منه دِماء وسمعت صوت في المطبخ فإتجهت له و وجدت أثار تعفّن في الأرض وفي النهاية دخلت للمكتب فرأت صورًا للسيدة العجوز التي رأتها في المرآة ولرجل آخر في الخمسين من عُمره والكثير من الأطفال بمُختلف الأعمار ومن ثمّ تناولت الملف الذي رأته بالرؤية بيدها وفتحته وبمُجرد أن فعلت ذلك شعرت بهزّة أرضية لتُدرك أنّ المنزل يتدَاعَى فسمعت أصوات صُراخ كثيرة تخترق الأذن وعجزت عن التحرك حتى دخل لها يُوسف وسحبها من يدها لتخرج خارج الشقة ولكنها لم ترغب وشعرت بالكثير من الأصوات تناديها بإستغاثة لتنقذهم حتى سحبها بقوة أكبر عجزت عن مُقاومتها وخرجا وحينها توقفت الهزة الأرضية ونزلت مرغمةً خارج العُمارة وهو أمامها وكان وجهها شاحبًا بشدة وعيناها حمراء فتساءل الجميع عن ما حدث وكانت هيَ صامتة بشكل مُريب وتحتضن بيدها الملف حتى أفاقت :

يوسف : ماذا حدث صغيرتي ؟ .. هل أنتِ بخير ؟

حكت لهم كل ما حدث والأمر الغريب أنهم صدّقوها بمُنتهى السَهولة ولم يزيد أحد كلامًا عن كلامها ، قررت فتح الملف فكانت أول صفحة بإسم (شقة الأموات) وكانت مطبوعة بورقٍ حديث وقلبت الصفحة الثانية وقرأت بصوتٍ عالٍ لتحكي عن حالات القتل والإنتحار التي حدثت في تلك الشقة والتي كانت آخرها هيَ موت المحامي محروس صِدقي على أرض الصالة وانتشار دماؤه على الأرض وثلاث حالات انتحار بالحبل المُعلق وخنق مجموعة أطفال وقتلهم بوحشية في غرفة الأطفال وقتل سيدة عجوز بسبب شجار مع إبنها فاندفعت على لوحة الموناليزا ونزفت للموت وحالات تسمم في المطبخ ولم يتم إكتشاف الجثث إلا بعد أن تعفنت وفي النهاية توقفت عن القراءة عندما إنتهى الورق وينظر الجميع بدَهشة وبلاهة عاجزين عن إستيعاب أي شئ :

وسيم : إذًا ما علاقة ذلك بالحجر ؟

نور : زوجة المحامي في مشفى الأمراض العقلية.

يوسف : كيف علمتِ ؟

نور : وسيم أخبرنا قبل أن نأتي ..

تحركت نور في إتجاه السّيارة وتركتهم وينظر ثلاثتهم بتعجب لأنّ وَسيم لم يخبرهم بذلك قبل أن يأتوا ولكن نور علمت وحدها، توجهوا للمشفى التي أخبرتهم نور عُنوانها بالتفصيل وعندما وصلوا إتجه يوسف في الإستقبال ليسأل ولكن نور لم تنتظره وتحركت في إتجاه المِصعد فما كان لهم إلا أن أتبعوها بعد معرفة الغرفة وهيَ سارت بهم للقسم الموجودة به حتى أنها علمت غرفتها وفتحت الباب ، إمرأة جالسة على كرسيٍ وأخبرتها المُمرضة

أنها لا تتحدث منذُ مجيئها وفقط ترسم الكثير من الرُسومات ونظرت نور لبعض الرُسومات لتجد لوحة بها نفس المشهد الذي رأته في رؤيتها الأولى وأخرى بها مشهد في حديقة وبها نفس العائلة وأخرى رأت نفسها جالسة بها في حديقة المنزل الخاص بجدها تقوم بذلك الطقس الصعب ولكنها كانت باردة لا تتفاجئ أو تشعر بشئ ، نظرت للسيدة التي كانت تبتسم لها وإقتربت منها جالسةً على ركبتيها لتكون في مستوى تلك السيدة :

ـ أخبريني .. أنا أصدقك .. لستُ مثلهم ..

ابتسمت لها السيدة وبدأت تتحسس وجهها ولم تتحدث ولكن تناولت لوحة فارغة وقلم ومرّ عشر دقائق وهيَ ترسم شيئًا ما ثم عندما انتهت أعطتها اللوحة فوجدت بها فتاة صغيرة تجلس في فصل دراسي فما كان لها إلا وتذكرت أنها مدرستها الإبتدائية ثم سكتت السيدة واتجهت للنوم على سريرها وساعدتها الممرضة وأخذت نور اللوحة وخرجت لهم وهيَ تلوح بها :

ـ مدرستي الإبتدائية ..

عنود : أين هيَ ؟

نور : الجيزة ...

وَسيم : حسنًا لنتحرك ..

نور : ليس الآن .. أرغب بالنوم ..

يوسف : حسنًا .. سنبيت في فندق قريب ونتحرك بعد أن نرتاح.

ذهبوا لفندق قريب وكانت نور تتصرف بغَرابة ولم يسألها أحد وكأنّه أمر طبيعي حتى ذهبت لغرفةِ ما واستغرقت في النوم دون تغيير ملابسها وحلمت بالكثير مِن الكوابيس وإستيقظت حوالي عشر مرّات ولكن في كل مرة كانت تكمل نومها وكأنها ترغب في معرفة أمرِ ما عن طريق تلك الكوابيس ، إستيقظت مرة أخرى في منتصف الليل ولم تجد هاتفها حولها ولكن وجدت هاتف عُنود فتناولته لترى الساعة ، كانت الثانية بعد منتصف الليل ولمحت التاريخ في الهاتف لتجده 2018 ومن المُفترض أنها في عام 2012 ، تجاهلت الأمر ونزلت من الغرفة ثم رآها من بعيد يوسف فنادى عليها :

ـ لماذا نزلتِ ؟

ـ شعرتُ بالجوع .. أنتَ ؟ ..

ـ نزلت لشرب القهوة والسير قليلًا ...

ـ حسنًا .. ابقى معي وأنا أتناول الطعام ..

وصلا للمطعم وظلّ معها حتى انتهت من تناول الطعام ثم طلب لكلاهما قهوة وقررا السير معًا ولم تتحدث نور إطلاقًا مما أقلق يوسف :

ـ هل أنتِ بخير ؟

ـ نعم .. لماذا ؟

ـ صامتة ولا تتحدثين ...

ـ أفكر فقط في علاقة عِشتار بتلك الأحداث الغريبة .

ـ تذكري أنّ عِشتار إلهه وأنتِ مبعوثتها ولـذلك ربمـا تـرين الأمـور بشـكل مُختلف ومن زاوية لا نراها نحنُ ...

ـ لماذا تظن أنها اختارتني ؟

ـ ربما لأنكِ جريئة أو لأنكِ تحبين عائلتك .. لا أدري .. لم أفكر في الأمر ..

ـ لماذا إختارتك أنت كحارسي ؟

ـ لأنني أستطيع حِراستك ..

ـ هل تعتقد أنّ عزيز وصل لمكان الحجر بسبب قصه لشعري ؟

ـ لا أعتقد ذلك .. ولكنك تبدين أجمل بالشعر القصير يليق مع لون عينيـكِ ..

ـ نعم فأبدو أني خارجة من البحر الآن ..

نظر لها بدهشة لقولها ذلك فيبدو أنها تذكرت وانتبهت على نظرته:

ـ ماذا ؟ .. لماذا تنظر هكذا ؟

ـ لا شئ .. فقط تذكرت أمراً ..

ـ بماذا ذكرتك ؟

ـ لماذا تسألين الكثير من الاسئلة ؟

ـ لأني لا اجد إجابات منطقية ويُوجد فراغات يجب ملئها ..

ـ اعتقد أننا يجب أن نتحرك للقاهرة الآن ...

أشارت برأسها موافقةً فتحدث مع عنود و وسيم وتقابلوا جميعهم ليستعدوا للذهاب ، تحرك بهم وسيم ومن ثم لاحظت نور في السيارة دُمية صُنعت يدويًا ، أخبرت يوسف الجالس في الأمام أن يناولها إياها وتحسستها لتشعر أنها موجودة في ركنٍ ما في عقلها تعجز عن تذكُره فإستئذنت أن تأخذها ، وضعتها في حقيبتها التي وجدت بها هاتفها ففتحه ووجدت أنّ التاريخ عام 2012 كما توقعت أنّ التاريخ في هاتف عُنُود ليس صحيحًا وذهبوا للقاهرة ثم المدرسة الخاصة بها وكعادتها بمُجرد إقترابهم أخبرته أن يتوقف وترجلت قبل المدرسة بشارعين وبدأت ترى الأطفال يركضون في الشارع فرحين لنهاية العام الدراسي على الرغم من أنّ الشارع فارغًا وسارت بسرعة حتى بدأ سور المدرسة ولمحت الأبنية وبدأت في إستيعاد ذكرياتها أصدقائها وبالذّات صديقها الذي أحبته في ذلك الوقت وبدأت تراه وتراها في ذلك الوقت يركضون بحُرية ويتبادلون بعض النظرات في الخَفاء ونظرت لإحدى الأرصفة لتراها جالسة تبكي ويأتي بجانبها :

ـ سترحل بعد إنتهاء الإمتحانات ..

ـ لا بأس سنتقابل عندما نكبر ..

ـ بلى ستُحب غيري ولن تتذكرني ..

ـ لا سأعود .. لا تبكي وإلا سأبكي أنا أيضًا ..

بكت نور وهيَ تراقبهم ثم قررت الدخول للمدرسة وأفسح لها الحارس الباب فرأت الطابور المدرسي بالأسفل ولمحت الطفلين بالأعلى يقفون سويًا معًا ومعها أصدقائهما وركضت للسُلم بسرعة وصعدت لهما وهيَ ترغب

بسماع أي شئ يعرّفها على إسمه ولكنّها لم تناديه بإسمه ولكن أعطته سِوارًا وأخبرته أنها سترتدي واحدًا مثله ، دخلت الفصل فلم تجد شئ حتى إنها نظرت خلفها فاختفى الأطفال سوى نور الصغيرة هي وصديقتها ،فدخلت للفصل وهيَ تأخذ عُلبة الطعام من دُرجها لتجد رسالة مميزة منه باللون الأزرق منه وتخبر صديقتها المقربة أنها ستحتفظ بها حتى يتزوجا و اختفى الأطفال مرة أخرى فركضت نور في الواقع فتحت ذلك الدُرج فوجدت الحجر الذهبي ولكنّها بحثت كثيراً عن الرسالة ولم تجدها وتساءلت كيف لا تتذكر إسمه أو أي شئ عنه ؟ ، قاطع تفكيرها وتخيلاتها صوت عنود وهيَ تستبشر بالحجر ويفرح معها وَسيم ولكن يُوسف ظلّ واقفًا لا يتحرك ولا يُبدي أي ردة فِعل حتى هربت دَمعة من عيناه و كادت أن تلاحظ فنغزته عُنُود فإلتفت وإدّعى السعادة وخرج جميعهم وهمّت نور بالخروج من الفصل حتى وجدت ذلك الطفل الذي أحبته جالسًا على أحد المقاعد بالفصل يبتسم لها فنظرت له بلهفة:

ـ هل تراني ؟

ـ نعم ..

ـ ما إسمك ؟ .. أرجوك أخبرني ..

ـ ألم نتعهد أن يكون حبنا أبديًا ؟

نظرت له بعجز وبكت :

ـ أعتذر حقًا .. لا أعلم كيف نسيت .. أخبرني ..

ـ لا تقلقي ستتذكري فقد وفينا بكل الوعود التي قطعناها حتى الآن..

ـ كيف ؟ ماذا تقصد ؟.

نادتها عنود فنظرت لها وأعادت النظر لمكان الولد ولكنّه إختفى:

ـ لماذا تبكين ؟

ـ لا شئ .. فقد تذكرت أمرًا ..

مسحت دموعها وسارت وهيَ عاجزة عن التفكير وعن كُل شـئ حتـى دوى إطلاق ناري إتجاه نور فركض لها يوسف :

يوسف : انخفضي .. انخفضي ..

عنود : كيف لم ننتبه أنهم يراقبونا ؟

يوسف : خذي نور واخرجي من خلف الحديقة ..

نور : لن أتركك ..

يوسف : كيف لن تتركيني ؟ نوور!

نور : أفضل الموت هُنا على تركك ..

عنود : اذهبا وأنا سأؤمن المكان وسآتي خلفكم ..

تحركا متخفيين وعُنود خلفهم حتى خرجا ليجدا وَسـيم ينتظـرهم بالخـارج بالسيارة وهربوا من المكان :

يوسف : لا وقت للسفر للعِراق.

عنود : سنقوم بالأمر ليلًا.

نور : أحتاج للتحدث مع كريم قبلها.

وسيم : ولكنه خطر الآن.

نور : أحتاج حقًا للتحدث معه.

يوسف : حسنًا نصل لمكانٍ آمن قبلها ...

ذهبوا لبيت جهزه وَسيم في العاشر من رمضان وأحضر يُوسف خطًا جديـدًا لنور فتناولته مسرعةً وكتبت الرقم ومرّت عليها الثواني بثِقل حتى أجاب :

ـ كريم ..

ـ نور! أتعلمين كم مُت من القلق هُنا عليكِ .. أين أنتِ سآتي لكِ ؟

ـ انتظر .. أنا بخير تمامًا ولكن أحتاج سؤالك عـن أمـر مهـم .. أتتـذكر أننـي أخبرتك عن أحد كُنت أحبه في المدرسة الإبتدائية ؟

ـ لا .. كان كُل أصدقاءك يخافون منكِ فأنتِ جريئة وتضربيهم إن ضـايقوك ...

ـ كيف ذلك ؟ .. أحببتُ أحدهم وتعاهدنا على الزواج.

ـ لم يسبق أن فعلتِ ذلك ...

ـ كنانلعب بعد المدرسة معًا و..

ـ ألا تتذكرين ؟ .. كان أبي يأخذك بمجرد خروجك.

ـ جدي .. لماذا يأخذني ؟

ـ مدرستك هُناك في مرسى مطروح .. وما علاقة ذلك بكل ما يحـدث ؟ أيـن أنتِ ؟

غابت نور عن الواقع لثوانٍ وهيَ تدرك أنّ هُناك أمرًا خاطئ تجهله :

ـ كريم .. أنا بخير وسأعود خلال أيام ...

أغلقت الخط وهيّ تحاول جمع الخيوط ببعضها وتعجز عن فِهم أي شئ يدور حولها ثم إشتدت السماء قسوةً ودوى صوت الرعد ولفت إنتباها تشقق السماء وقوة الهواء فأتت عُنُود :

ـ يجب القيام بالأمر الآن ..

أخرجت نور الحجر ومسكته وأغمضت عينيها ليخبرها بما يجب أن تفعله ، سارت لمكانٍ واسع وجمعت بعض الزهور من الحديقة وجلست في المنتصف وبدأت بتقطيع الزهور على الحجر فانهمر المطر بشدة وأضاء الحجر و اختفت عُنود و وَسيم وبقى يوسف بجانب نور وكانت ستنهض فتعثرت بالحجر فأسندها و لمحت معصم يده لترى السِوار الذي أعطته لصديقها في الإبتدائية فدفعته بعيدًا :

ـ مَن أنت ؟

ـ أنا يُوسف .. ما بكِ ؟

ركضت بعيدًا عنه وذهبت لترى حقيبتها لترى التاريخ مرة أخرى في الهاتف فوجدت الرسالة ذات اللون الأزرق بجانب الدُمية في حقيبتها ففتحتها لتجد مكتُوب بها بخط طفولي :

" نوري .. سأسافر بعيدًا بعد الإمتحانات ولكني سأعود مرة أخرى لنتزوج عندما نكبر .. وأتمنى أن لا تبكي كعادتك أيها العِناد الأزرق يوسف "

صرخت للصُداع الذي طغى على عقلها بشكل غير طبيعي وبـدأت في تـذكر دِراستها للطِب ومقابتلها الأولى له وزواجهما وإنجـابهما لنـالا الصـغيرة ثـم الإنفصال والحادث وأنّ كل ما تعيش به كان وهمًا خلقه عقلها ثـم عجـزت عن التنفس وضاقت الدنيا حتى إسودت بها الدُنيا وإلتقطهـا قبـل وقوعهـا على الأرض كما كان يعِدَها دائمًا أنها لن تسقط أثناء وجوده أبدًا.

(قبل ست سنوات)

تجلس نور بغضب و تكوّر حولها الكثير من الأوراق وتلقيها أرضًا ، ضحك كريم بسخرية:

ـ لماذا تفسدين المنزل ؟

ـ وكأنّك مَن توضبه ..

ـ ماذا حدث لكِ ؟

ـ لم أجد القصة بعد ..

ـ لروايتك القادمة ..

ـ نعم ..

ـ أنتِ لستِ مجبرة على كتابة رواية كل عام .. فتكفيكِ جامعتك وعملك ..

ـ لا .. سأكتب مهما حدث .. أنا أتنفس كتابة ..

ـ إذًا ستموتين من نقص الكلمات يومًا ..

بإستهتار :

ـ أنت خفيف الظل .. كم ضحكت .. هوهواهاها.

ـ حسنًا .. ما هيَ روايتك القادمة ؟

ـ أفكر أن تكون قصة خيالية عن الآلهة ..

ـ هل ستذهبين لعصر الفراعنة ؟

ـ ليست حضارة مصر بل العِراق ..

ـ هل تعرفين عن حضارة العِراق شئ ؟

ـ لا ولكن سأقرأ .. فقط لفتت إنتباهي الإلهة عِشتار .. قرأتُ عنها كثيراً ..

ـ كيف ستكون البطلة ؟

ـ لتكون مثلك كريم .. طائشة وجريئة ومتهورة ..

ـ والبطل ؟

ـ لا أعلم .. لم أقرر بعد .. سيكون مِثل فتى أحلامي.

ـ أرجوكِ أن لا تجعليها مُرعبة كشقة الأموات ..

ـ أرأيت نسبة مبيعات رواية شقة الأموات ؟ .. القُرّاء يعشون الرعب ..

ـ ليس كُلهم ...

ـ تأخرت ..

نهضت مسرعة لتركض بلهفة البراءة التي عليها وتنظر للمرآة لتنهدم ثيابها فترى عينين زرقاوتين بوجه دائري متناسق وتبتسم لنفسها وتقول :

ـ كم أحبك أيتها الدكتورة الكاتبة العظيمة ..

وترتدي حذاءها وتأخذ الدراجة خاصتها وتقودها مسرعةً حتى تصل للمشفى وتُبدل ملابسها لترتدي البالطو الأبيض الذي حلمت به دائما فهذا أسبوعها الأول كدكتورة تحت التدريب في المشفى وكانت شديدة التركيز في عملها والإهتمام بالمرضى فلم يشغل بالها التعرّف على أحد وبعد يومٍ طويل حاولت فيه تطبيق كل ما تعلمته في السنوات الماضية تناولت كوبًا

من القهوة وذهبت لمكتبها لتجد قِصاصة ورق زرقاء مكتُوب عليها " العِناد الأزرق " فلم تستغرق الكثير من الوقت حتى تذكرت صديقها الطفولي وحُبها الأول فإبتسمت بتلقائية وخرجت لترى مَن وضعها فلم تشك بأحد من حولها حتى قررت تناول القهوة خارجًا وهيَ تبتسم أثناء تذكر تلك الأيام ثم أتى ووقف بجانبها شاب طويل في السادس والعشرين من عُمره ذو بشرة حنطاء وعيون عسلية فنظرت له بإندهاش وتبسّمت بلُطف :

ـ يُوسف ..!

ـ العِناد الأزرق ..!

ـ لا أصدق أنكَ أمامي ..!!

ـ ألم أُخبرك أنني سأعود ؟

ـ أخبرتني ..

ـ إذًا هل إنتظرتيني ؟

هرّبت عيناها ثم أعادت النظر له :

ـ لا .. فقد خُطبت مرتين ..

ـ أووووه .. ولكنني كنت مخلص لكِ ..

ـ أتمزح معي ؟ ..

ـ بالطبع ..... أمزح ..

ـ ولكن تغيرتُ كثيراً ..

ـ وأنا أيضًا .. فتغيرت وِجهات نظري ومبادئي وشكلي .. ألم أزدد وسامةً ؟.

تجنبت النظر في عينيه فبدا لها لعوبًا وسيوُقعها في شِباكه فلا تعلم إن تغيّر مثلما تقول أم لا ، قاطعتهم الممرضة لتخبره بأنّ المريض يحتاجه فهمّ بالذهاب وإلتفت لينظر لها بلُطف :

ـ لن يكون لقاءنا الأخير ..

أشارت بيدها مودعةً و وقفت لتُكمل كوب قهوتها بتساؤل هل يكون فارس أحلامها الذي طال إنتظاره ولم تجده في الكثير من القلوب التي قابلتها وتمنّت لو يكون بها ؟ وما ذلك الإنتظار سوى عبث فهيَ تضع مواصفات مثالية كأي فتاة ترغب في الزواج ولا يوجد شاب كامل متكامل خالي من كُل العيوب ، فترغبه مقدِّر للظروف ،متفائل ،طموح ،مرِح ،ذا حالة مادية وإجتماعية ونفسية جيدة ،وأن يكون متواضع في عباداته وليس بعيد كل البُعد عن الدين ،ولا يشوبه الشك والغيرة المُبالغ فيها.

كانت تقف بتِيه وقد سَرح بها بذلك الذي سيدخل قلبها وسيظل عمرًا كاملًا به دون أن يرغب بالخروج فكانت تخشى ـ الحُب وحالات الطلاق المتكررة التي تتردد على مسامعها والتي نتجت أغلبها عن زواج الحُب فأغلب الشباب اليوم يتلهفون للزواج عن حُب غير مُراعيين بالمسئوليات الكبيرة التي تنتج عن الزواج والتي لا يكُون الحُب كافيَا لحلها فمثلًا ينفصل الطرفان بسبب رغبة إحداهما في إنجاب طفل والآخر لا يريد ، أو بسبب إختلاف الأفكار والذي لم يدركوه قبل الزواج بسبب حلاوة الحُب الذي يُخيل لنا أنّ المحبوب ليس سوى ملاك ، يوجد حالات زواج فاشلة تستحق الطلاق كالخيانة فهيَ ذنب لا يُغفر ، أو ممارسة العُنف الجسدي أو النفسي ، أو زيادة الخلافات بشكل مُبالغ فيه مما يؤثر على الزوجين والأطفال ، لا تُريد نور سوى الزواج مرة واحدة من شخص ترى أنه

سيتحملها عند الغضب والمَرض والشِيب ولن يمل منها حتى ترى أحفادها يتلاعبون أمامها ، أتى إنذار بقدوم حالات جديدة فذهبت لتنهمك في عملها وتحاول فِعل كُل ما تقدر عليه ، بعد إنتهاء دَوامها عادت للمنزل في وقت متأخر وإحتضنت السَرير دون تغيير ملابسها ..

إستيقظت في الصباح الباكر لتبدأ يوم بحَماس كعادتها وكأنّها ليست مُتعبة وتناولت رواية جديدة من المكتبة لتقرأها في أوقات فراغها في المشفى فهيَ ترى أنّ الكاتب لا يُمكن أن يكُون كاتبًا دون أن يقرأ وعلى الرغم أنّها بارعة في الكِتابة ولكنّها تحب التطوير دائمًا ، ودّعت جدها بحُضن دافئ في الصَباح وقررت الذهاب وعلقت لنصف ساعة في زحمة مرور القاهرة حتى قررت ترك دراجتها في إحدى الحدائق وسارت على قدميها ترتدي سمّاعة أذنها وتتنفس الهواء النقي حتى إقتربت من المشفى ،ثم لاحظت سيّارة تسير خَلفها فنظرت لترى يُوسف يبتسم لها :

ـ صباح الخير ..

ـ صباح الخير ..

ـ إركبي لنصل معًا ..

نظرت له بضيق لتساهله معها فهيَ تعلم أنهم كانا أصدقاء ولكن كان ذلك أثناء الطفولة وهيَ لا تعلم كيف هو الآن فقررت وضع مسافة آمنة بينهما لتحمي قلبها الصغير فقد أهلكه الحُب بسبب علاقاتها السابقة :

ـ لن أركب ..

ـ لماذا ؟ .. ألا تثقين بي ؟

ـ بالطبع لا أثق بك ..

رفع حاجبيه بدهشة :

ـ أنتِ صريحة جدًا .. حسنًا لا تركبي ..

قام بركن السيّارة ونزل ليسير معها :

ـ يبدو أنكِ تحبين المشي كثيراً ..

أدركت أنه يحاول أن يقرب المسافة بينهما فقررت صدّه :

ـ هل يمكننا أن نصمت ؟

ـ لماذا ؟

ـ ذلك الوقت الذي اهدأ به لأنّ اليوم يكون مزدحمًا.

ـ حسنًا سأصمت ولكن أريد إخبارك أنّ سماع الموسيقي بالسمّاعات يدمر خلايا المخ ..

وصلا لبوابة المشفى ودخل كلاهما لمُراجعة على المرضى والكشوف و كان اليوم هادئًا لم يحدث أية حوادث وخاصةً تلك التي إرتفعت نسبتها بسبب الإزدحام والتهوّر في القيادة ، بعد الظهر أتى يُوسف ومعه كوبان من القهوة محاولًا التقرّب منها مجددًا :

ـ هل نشرب القهوة ؟

ـ لديّ الكثير من العمل ..

ـ هل يمكنني سؤالك عن أمر ؟

ـ لا ..

ـ هل أنتِ مع شخص الآن .. أقصد مخطُوبة أو تحبين ؟

ـ لماذا تسأل ؟

ـ لماذا تصدّيني بإستمرار ؟

أغلقت ملفًا كانت تقرأه :

ـ سأجيبك ولكن إن أجبتني عن سؤالي أولًا ..

ـ إسألي ما تريدين ..

ـ لماذا تقترب ؟

قام بحك شعره يفكر بإجابة تسحرها ولكنّه عجز :

ـ ستقترب مني كصديق بنيّة جيدة ونتحدث ونتسامر ونضحك ونمضي ـ الكثير من الأيام واللحظات سويًا وأتعلق بك وأعتاد على وُجودك جانبي .. كُل ذلك في إطار الصداقة وأنا مللتُ من أولئك الذين أحبهم وأتعلق بهم وأعتاد على وجودهم ويرحلون ..

ـ ولكني لن أرح..

ـ ستخبرني أنّك باقي ولن ترحل ولكن سيأتي وقت نبتعد به لأسباب خارجة عن إرادتنا .. لا أحد يظل للأبد وأنا حقًا لا أرغب بعِلاقات مؤقتة ولذلك أرغب أن نُحافظ على المَسافة كزملاء عمل ومِهنة ..

صمت قليلًا ونظر مباشرةً في عينيها حتى خجلت وأبعدت عينيها وقرر الإستئذان والخروج من مكتبها وهي تلعن نفسها لصراحتها فيبدو أنّها

جرحته ثم تعيد التفكير أنّها تفعل ذلك لحماية قلبها لا أكثر وأن ذلـك هـو الأمر المنطقي الصحيح الذي يجب أن يحدث ..

****

"ليتنا إستطعنا أن نحب أقل كي لا نتألم أكثر."

محمود درويش

إنتهى يومها باكرًا وطلبت سيارة أجرة وقبل أن تركبها تفاجأت ب(أحمد) خطيبها الأول كان يأتى على دراجته النارية فإبتسمت له وهمّـت بـالهروب بقلبها حتى ناداها :

ـ أتيتُ للتحدث معك ...

ضمت حاجبيها بحنق :

ـ كيف عرفت مكان المستشفى ؟

ـ أخبرني أسامة ..

بـدأت في أن تغضـب فأسـامة زميلهـا في الكُليـة وصـديقه ومـن السـهل أن يعرف بذلك الأمر :

ـ ماذا تريد ؟

ـ أحتاج للتحدث ..

رغبت في أن تحترم رغبته قليلًا فما بينهما لم يكن هينًا :

ـ حسنًا .. لنذهب لمقهى قريب من هُنا .. تعالى خلفي.

ركبت سيارة الأجرة وهو خلفها بدرّاجته النارية وهاتفت كريم وأخبرته لكي يكون على علمٍ ، شعرت وكأنّ هُناك من يضـغط عـلى عُنقهـا أو الـذكريات تستيقظ داخلها لتُقيم حربًا عليهـا ولم تكـن ترغـب بشـئ سـوى بـالهُروب بعيدًا لتجنب تذكر كُل ما مضى لها وعلى الرغم من ذلك كان خارجها ثابتًـا تظهر قوية بقسوة ، عندما وصلت دخلا المقهى سويًا ثم جلسا :

ـ ماذا تشربين ؟

ـ لا أريد شرب شئ .. فقط أخبرني ما لدَيك ..

ـ أحتاج أن أبرر أخطائي ..

ـ أتقابلني بعد إنفصالنا بأربعة أعوام لتبرر أخطائك ! أتمازحني هُنا .. أنـا لم أحب مِثلك في ذلك الوقت و..

ـ نعـم بـالظبط ،لم تنتبهـي عـلى أي شـئ في حياتـك سـواي ، كنـتِ كثـيرة الإهتمام بي وبحيـاتي وبمـا أحـب وأكـره وأهملتـي حياتـك ونفسـك ولـذلك شعرتُ أني يجب أن أبتعد حتى تنتبهي لحياتك .

ـ لا أصدقك حقًا .. مازلتُ تحاول إيجاد أعذار لكل أخطاءك .. كُـن شـجاعًا وإعترف بأخطائك .. كُن رجلًا! ، أنت أهملتني كثيراً وجعلـتَ بيننـا مسـافة يعبر منها الأخرون وكُنت أخبرك أنني أحتاجك بسبب خُـذلاني المُتكـرر مـن أصدقائي ولكنك كثيراً ما كُنت تراني أبـالغ في مشـاعري وأنّ مشـاكلي ليسـت بمشاكل حقًا .. حسنًا أنا أعترف كنتُ ساذجة وأعطـى الحُـب بشـكل مُبـالغ فيه وكنت مريضة بك ولم أهتم جيدًا بنفسي ودراسـتي ولكـن ذلـك لـيس عُذرًا يجعلك بريئًا.

ـ لماذا لا تتذكرين سوى الأمور السيئة في حُبنا ؟

ـ لأنّ علاقتنا إنتهت ..

ـ ألا يوجد أمل ؟

ـ لا .. انتهى كل شئ منذُ مدة طويلة ..

ـ ولكن لم ينتهي شئ بالنسبة لي ..

ـ أحمد .. انظر .. لم يعد هُناك ما يُدعى نحن .. واخبرتك ذلك منذُ سنوات وأعدتُ قول ذلك مرارًا .. لم أعد أحبّك .. كما أننا لسنا متوافقين فكريًا .. بغض النظر عن أسباب إفتراقنا ولكنني إستطعت التحرك وإنتهى كُل شئ بالنسبة لي وأقولها وأنا لا أتألم ويجب عليك التحرك وأن تتوقف عن حُبي بأي شكل وتُكمل حياتك .. لا يمكننا أن نكون معًا ولو بعد سنوات ...

ـ كيف لا تتالمين ؟ .. أنا أجلس أمامك ومازلتُ أنسى ـ كلامي ودِفاعي وأسبابي .. لو تعلمين كم فكرت بالكلام الذي سأقوله لكِ وأعدتُ ترتيبه وكل ما كُنت أخشاه هو أن أؤلمك بكلامي ولكّني لتلك الدرجة لم أعد مهم لكِ ولا تخشين تألمي .. حسنًا .. أعتذر .. حقًا أنا آسف ولكن لا تنهي كُل شئ بتلك الطريقة ..

ـ لن يُفيد الإعتذار بشئ الآن .. كما أخبرتك أكمل حياتك وأتمنى أن تنساني بأسرع وقت ..

ـ هل يمكننا ان نكون أصدقاء على الأقل ؟.

ـ لا يمكننا أن نكون وأنت تحبني .. إن كنت أمامك كيف ستتمكن من إكمال حياتك .. لا يمكنني أن أكون أي شئ في حياتك بعد الآن .. أتمنى أن لا أراك مجددًا وأن لا تجمعني الصدفة بك ..

مسكت حقيبتها وتركته خَلفها ولم تشعر أنها ترغب بالإلتفات وخرجت لتجد كريم بإنتظارها أمام سيّارته وركبت السيارة ورحلت معه :

ـ هل أنتِ بخير ؟ .. نور ..

نظرت من النافذة ودَمعت عيناها وحينما لمح كريم ذلك توقف وأعطاها الماء :

ـ ماذا قال لكِ ؟

ـ إعتذر ..

هربت عبراتها على وجنتيها لترويها كأرض قاحلة وفهم كريم أنها ترغب بالحديث فصمت حتى تنهي كلمات قد أخفتها داخلها طوال تلك السنين :

ـ لستُ مخطئة ولستُ سيئة لأنني آلمته بكلماتي فقط تلك الحقيقة التي يجب أن يعلمها ..

ـ هل مازلتِ تحبيه ؟

ـ لا .. وذلك ما يبكيني كيف يمكن أن أحب أحدهم بذلك القدر وأن أتوقف عن حُبه لأي سبب .. هو أهملني ولكن لماذا أتوقف عن حُبه بسبب ذلك .. كنتُ شديدة التعلق به ولم أحب بتلك الطريقة بعده .. اشتقتُ لتلك الطريقة التي أحب بها .. فبعده علمت انّ الحب ليس أبديًا مثلما ظننت وأنه ليس كافيًا لنا ونضجت أتعلم ؟ ولكني لا أريد أن أكون ناضجة .. اريد أن أشعر بتلك الطريقة مرة أخرى .. لماذا أحببته إن كنت سأتوقف عن حبه .. كلانا مخطئ وكلانا لم نحافظ على علاقتنا فهجرنا الحب وثم عاد هو ليعتذر الآن .. كيف يمكن أن أحب بذلك القدر وتلك القوة وأتوقف بسبب أي شئ ؟ لماذا الحُب ليس أبديًا مثلما كنت أظن ؟.. أتمنى أن يتوقف عن ذلك الإحساس الذي توقفت عنه وأن يكمل حياته بشكل يجعله سعيدًا مع غيري ..

أصبحت بخير وهيَ تقول جملتها الأخيرة وتوقف عن البكاء :

ـ أرغب في قتله ..

ـ كرييييم! .. لا تجعلني أندم لأني حادثتك ..

ـ كيف يمكنه أن يجعلك تبكين ؟

ـ لا أبكي بسببه .. أبكي على أن الحب ينتهي بسرعة ويموت إن لم يتم تغذيته ...

فتح لها ذراعيه فاندثرت في حُضنه وربت بخفة على شعرها :

ـ على الرغم من ذلك لا يمكنه أن يزعج نوري ..

ـ حسنًا يا خالي العزيز .. هل يمكننا العودة للمنزل ؟

ـ لِما لا ؟

سارَ بها للمنزل وينظر لها من حِين لآخر وهو شديد القلق على روحها البريئة ويرغب في الذهاب لأحمد ليقطعه إربًا ، وصلا للمنزل فصعدت نور لشقتها فوجدت أمها تصنع دُمية صغيرة باللون الزهري :

ـ لِمَن تلك أمي ؟

ـ لإبنتك ..

إبتسمت نور بسخرية :

ـ لم أجد قرة عيني بعد .. أتصنعي دُمية لإبنتي ..

ـ رأيتُ رؤية ..

ـ ماذا رأيتِ ؟

ـ رأيتكِ حصانًا قويًا تركضين بسرعة ورَشاقة حتى وقعتِ بحفرةٍ وجُرحت بشدة ولم يجدك أحد لأيام لأنكِ لا تصهلين طالبةُ المُساعدة ثم يأتي لكِ شاب طويل وَسيم ويُخرجك من تلك الحفُرة ويشفى كل جروحك حتى تلك القديمة التي لم تشتكي منها .. وكان لديه الكثير من الخيول ..

ـ هل هو زير نساء ؟

ـ لا أعلم .. ولكنني إستيقظتُ فجرًا بعدها ..

ـ إذًا رأيتِ رؤية لفارس أحلامي وبدأتِ في حياكة دُمية لإبنتي التي لم يُكتب لها مِيلاد بعد ..

ـ أصمتِ .. كما أنكِ سمنتِ تلك الأيام .. قومي ببعض التمارين وكفاكِ كسلًا ..

ـ لا أُحب الرياضة .. لن أقوم ببعض بتمارين .. سأقلل من الكربوهيدات والليبيدات فقط ..

ـ هل أنتِ بخير ؟

ـ نعم ..

ـ نور .. لا تكذبين صحيح ..

ـ لا .. فقط مُرهقة من العمل وسأخلد للنوم قليلًا وسأستيقظ ليلًا لأكمل روايتي ..

ـ هل قررتِ قصتها ؟

ـ نعم .. ستكون عن الألهة عِشتار وحضارة العِراق وقصة فانتازيا حدثت في التاريخ القديم ..

ـ أهم شئ أن لا يكون بها إلحاد..

ضحكت نور ودخلت غرفتها وبدلت ملابسها بتعب نفسي لم تشعر به منذُ فترة ومن ثم توضأت وإتجهت لتخبر الله بكُل ما بها فتلك الطريقة الوحيدة التي تهدأ بها نفسها وتجد دائمًا إجابات لكُل أسئلتها بها وهداية لحيرتها وقرأت في كِتاب الله قليلًا وخلدت للنوم لتستيقظ على العاشرة مساءَ وتحضّر كوبًا من القهوة وتذهب للشرفة وتبدأ في خط سطور روايتها وقررت أن يكون إسم البطلة رَوند والبطل سُوران وتُبعث أرواحهم في فتاة من الحاضر وتقع في الحُب مع حارسها ، عاشت في تفاصيل القِصة كعادتها فلكي تكتب دائمًا ما تضع نفسها مكان الأبطال واحزن على حُزنهم وتحارب معهم وتقع في الحُب معهم فهيَ متعلقة كثيراً بالكتابة التي تعيش بها حياة أخرى غير وَاقعها المؤلم وتتخيل أشياء كثيرة تود لو تحدث حقًا في الواقع ، قاطع خيالها ذلك جدّها وهو يأتي ليخبرها أنه يحتاجها لتتحدث بأمر ما فتخرج من عالم عِشتار قليلًا وتذهب لتحضّر بعض الشاي لجدها ، وَضعت بجانبه بعض الكحك الخالي من السُكر فكانت مراعية تمامًا لمرض جدها وجلست جانبه وبدأ في أن يربت على كفّها :

ـ جميلتي .. يجب أن أحدثك بأمر

ـ أسمعك جدي ..

ـ يوجد أحد يرغب بالزواج بكِ .. وحدثني بعد عصر اليوم ..

صمتت قليلًا ثم تنهدت بضيق فملّت من كثرة الطالبين والذين لم تجد بهم أحد كفارسها المميز وتخشى كثيراً من الحب المُزيف على قلبها :

ـ سيأتي مع عائلته غدًا في الثامنة وأنا أعرفه وأعرف عائلته .. شاب جيد .. تحدثي معه وقابليه لعلّ قلبك ينشرح له ..الله سيرزقك الزوج الصالح الذي تتمنيه .. وإن لم ترتاح نَفسك أخبريني وسأرفضه بلُطف ..

كان جدها متفهمًا جدًا بالشكل الذي يجعلها تطمئن كثيراً ثم جلست معه تحاول إضحاكه بحُب وتقنعه أنها وَضعت السكر داخل الشاي وهو يكذّبها قائلًا أنه لا يشعر به وهي تخدعه ومرّت ليلتها بسَلام وبكت بين أحضان يدي الله مرة أخرى تتمنى أن يكُون ذلك هو الصالح الذي ترتاح معه ويطمئنها ويكون أبًا جيدًا لأولادها فهيَ ليست أنانية لتفكر بنفسها فقط بل تفكر في الحياة التي ستخلف ذلك الزواج ، نهضت الشمس ومعها نور وإتجهت للمشفى كعادتها بالدَراجة وحمدت ربها أنّ المرور لم يكن مزدحمًا كعادته وإتجهت للمشفى كُلها حَماس ونشاط لبدء يوم جديد ورأت يوسف وإبتسم لها من بعيد وأشار بيده وقد حافظ على المسافة بينهما وإحترم رغبتها وصراحتها فأحبّت تصرفه ذلك كثيراً وبدأت تنسى آلامها وهي تنشغل بآلام المرضى وتحزن لهم وتمد لهم الأمل بقدر إستطاعتها حتى أتت حالة ليست بجيّدة فكانت إمرأة في عِقدها الرابع أحضرتها إبنتها ذو الستة عشرة عامًا وأخبرتها أنها أُصيبت في حادث ولكن كان وجهها مشوهًا بشكل مُريب ويوجد كسر بقدَمها وتمزق في أربطة يدها اليمنى ولمحت نور الكثير من الكَدَمات في جسدها منها القديم والذي ترك آثارًا وآخر حديث منذُ أيام وأدركت نور أنه ليس حادثًا مثلما تقول الفتاة مريم الصغيرة ، بعد معالجتها و وضعها تحت العناية الفائقة

خرجت نور وكان يُوسف يتابع تلك الحَالة أيضًا معها فطلبت مقابلة الصغيرة في مكتبها ، دخلت مريم وكان يوسف جالسًا مع نور فبدا على الفتاة التوتر فأخبرتها نور أن تجلس :

نور : والدتك في العناية الفائقة .. يوجد كسر بقدمها اليُسرى وبأنفها وتمزق في أربطة يدها اليُمنى وكدمات حديثة وقديمة في ظهرها وأماكن مُختلفة أخرى من جَسدها وشرخ في ضلعين من القفص الصَدرى مضى- عليه أيام وقد إزرقّ مكانه وإرتجاج طفيف بالمخ وفراغات في شعرها ..

بكت الصغيرة لما آلت إليه حالة أمها وشعرت بحُنق لوجود يُوسف فأشارت له نور ليخرج :

- مريم .. ذلك لا يمكن يحدث بسبب حادث سيارة .. يمكنك إخباري .. هل يُوجد أحد يضايقكم ؟

ازداد بكاء الفتاة فما كان لنور إلا وأن إحتضنتها حتى تهدأ ثم كررت سؤالها :

- يمكنني مساعدتك حقًا .. مَن الذي يضرب والدتك؟

- أبي ...

خرجت الفتاة مسرعة وهيَ تركض ثم دخل يوسف:

- هل أخبرتك بشئ ؟

- زوجها المُتسبب .. وأنا أعرف ماذا سأفعل ..

- ماذا ستفعلين ؟

ـ سأبلغ الشرطة ..

ـ لا بالطبع ..

نظرت له بغضب وقد أدهشها رده :

ـ كيف لا ؟ لماذا لا ؟

ـ لسنا من العائلة لنفعل ذلك .. تلك خصوصياتهم ولا يمكننا التدخل.

ـ خصوصياتهم ..! ألم ترى حالة السيدة ؟ ذلك عُنف منزلي واضح ويبدو أنّ الفتاة خائفة من أمر ولن تبلغ الشرطة .. لا يمكنني التدخل حتى يأتي ذلك القذر الذي لا نعلمه ويقتلها .. لن أتوقف وسأخبر الشرطة الآن ..

ـ لا يمكنك رفع صوتك عليّ ..

ـ أذلك ما يهمك الآن ؟ .. اخرج خارج مكتبي ..

ـ افعلي ما تريدين ..

خرج غاضبًا من غرفتها وظلّت هيَ في غرفتها وأغلقت الباب بعُنف وجلست على الأرض تبكي ..

****

" العُظماء لم تنجبهم الطبيعة ولم ينجبهم الفراغ ، أنجبتهم تلك المرأة التي تقللون من قدرها دائمًا "

نور

بكيتُ حالة تلك السيدة البائسة وكيفَ عانت لتصل لتلـك الحالـة الميئُـوس منها فستظل أشهرًا في المشفى تحاول أن تتعافى وستعود لذلك الجحيم مـرة أخرى ليضربها بوحشية مـرة أخـرى بـلا رحمـة ولا رأفـة وبالتأكيـد ليسـت لديها عائلة أو عائلتها يخبروها أن تصـمت وتتحمـل لتحـاقظ عـلى منزلهـا وبيتهـا .. اللعنـة عـلى أولئـك البشرـ .. كيـف تحملـت ذلـك الألم ؟ وكيـف جابهت إبنتها الصغيرة تلك النِزاعات والتي تبدو ثقتها ضائعة مـن رَعشـتها وتوترها المُستمر ، نهضتُ من الأرض وقررت التحـدث للشرطة وإخبـارهم أنّ السيدة تتعرض للعنف وما لبثت ساعتان حتى أتت الشرطة وحققوا مع الفتاة واستلموا التقرير الطبـي الـذي أشرفـت عليـه بنفسيـ وأخـذت رقـم الفتاة لأطمئن عليها ثم حادثتني أمي وهيَ تؤكد أن أعـود حـالاً فأصـبحت الخامسـة ولم أعـود ويجـب أن أكـون هُنـاك قبـل أن يصـل أهـل العـريس المُنتظر ..!

أمرٌ مُحير و كأنه المَهدي المُنتظر..!

ذهبت لأوضب أشيائي وذهبت في طريقي إلى الخيّاطة التـي إتفقـت معهـا أمي على تفصيل فُستانٍ لي وقد أخذته منها ولم أكلف نفسي بفتح الحَقيبـة حتى وسُرعان ما عُدت وتجاهلت عِتاب أمي لتأخري وإسـتحممتُ سريعـة وفتحت الحقيبة لأجد أنّه فُستانًا بلَون زهور اللافندر الرقيـق وعليـه بعـض الزهور البسـيطة البيضـاء فإرتديتـه بإبتسـامة رِضـا فـأمي تعلـم أنـه لـوني المُفضـل وأسـدلت شـعري بضـفيرة متواضـعة ولم أرغـب بوضـع مسـاحيق التجميل كعادتي فإكتفيت بمرطبات فقط فلا أرغب أن أكون مُخادعة أمامه

وأغيّر من شكل وجهي .. أنا جميلة على طبيعتي كما أنّ ذلك الوجه الذي سيستيقظ عليه لبقية حياته فلا داعٍ للتظاهر إن حدث نصيب بإذن الله ..

جلستُ على طرف السرير وددتُ لو أنّ أبي يجاورني ويربت على شعري ولكنه كعادته مُختفي في عمله لظروف غامضة حتى لا يهتم إن كنتُ أحتاجه ودخلت امي لي لتخبرني بلهفة فرحة :

ـ لقد وصلوا صغيرتي .. هل جهزتِ اسئلتك ؟

إبتسمت لها :

ـ نعم .. جهّزتها ..

ـ أرجوكِ .. لا تصعبيها عليه فيبدو طيب بشوش الوجه وأنا أرتاح له كما أنه يفسر لي الرؤية ..

ـ لربما يأخذني من الحُفرة ويشفي كل جُروحي القديمة ثم يتركني بعد التعلق به مع جروح جديدة ..

نظرت لي أمي ونغزتني بكُوعها :

ـ تفاءلي خيراً بالله يا فتاة ..

ـ حسنًا يا أمي ..

ـ سأناديك بعد قليل لتقدمي القهوة .. كوني بشوشة وإبتسمي ..

قبلتني من جبيني بحَنان وخرجت ثم دخل بعدها كريم وقال بمَرح:

ـ أحببتُ ذلك الرجل ..

ـ تزوجه إذًا ..

ـ لن أخطف عريسًا من إبنة أختي ..

ضحكنا معًا بتناغم حتى نادتني أمي فقبّل كريم جَبيني مثلها وسبقني ليجلس معهم ومشيتُ أنا لأخرج لهم بعد أن ناولتني أمي القهوة وثم خرجت لأجد يُوسف جالسًا أمامي ...!

اللعنة ..! كيف لم أخمّن أنّه هو ؟

قدمت القهوة بهدوء وجلست جانب كريم متجاهلةً كل نظراته وكان يتحدث بتلقائية وكاريزما عالية فنجح أن يخطف قلوب عائلتي بشكل غير مُتوقع حتى جاء الوقت لنجلس وحدنا وبمُجرد خروج الجميع :

ـ أتمزح معي ؟

ـ تلك المرة لا أمزح ...

ـ لماذا أنت هُنا ؟

ـ أليسَ واضحًا سبب وجودي ؟

ـ حسنًا سأكون صريحة .. أنتَ لا تريدني كَزوجة ولا تحبني ولا أي شئ من هذا فقط أثرت فضولك فما يبدو لي أنك لست مُعتاد على الرفض ولذلك..

ـ لماذا تتحدثين على لِساني ؟ .. هل حقًا تظنين أنني أتيتُ فقط لأشبع فضولي ؟ ..

ـ إذًا لماذا أتيت ؟

ـ هل يمكنك معاملتي وكأنّنا لم نتقابل قط ؟

بدأتُ في التوجه له بالكثير من الأسئلة وكانت إجاباته سهلة بسيطة تُطمئن ولكنني كنت شديدة الخوف ثم انتهينا وسار ليَودع أسرتي بكُل حُب وتقدير ثم أتت لي أمي بلهفة :

الأم : ما رأيك ؟

ـ لا .. ليس صالحًا ليكون زوجًا ..

بدأت أمي في تغيير ملامح وجهها :

ـ لماذا ؟ .. يبدو جيدًا .. لا يجب عليكِ أن تقرري بسرعة ..

الجد بحَنان : على أي أساس قررتِ ذلك يا عزيزتي ؟

قصصتُ عليه وجهة نظري وأنه لم يأتي لرغبته في الزواج بل بسبب فضوله ولم أكد أكمل كَلامي حتى أوقفني جدي :

ـ انظري يا جميلتي .. لا يُمكنك الحكم على الأشخاص من وِجهة نَظَرك .. يوسف عاد منذُ سنة عندما قرأ روايتك وتحدث معي بخُصوصك ولكن حينها لم يمر أسبوعان على إنفصالك أنتِ وطارق وقرر الظهور في حياتك في الوقت المُناسب لكي تتخذي قرارًا صحيحًا ولا تكوني تحت تأثير الحُزن .. لا تتسرعي في الحُكم عليه فيبدو أنه يُحبك ويرغب بمَصلحتك ..

بكيتُ على كلام جدي لأنني ظلمته ثم إستئذنتُ ودخلت غرفتي وأغلقتُ بابها وتنهدت بحُزن فيَجب عليّ التفكير بالأمر الصحيح وإتخاذ قرار لن أندم عليه في المُستقبل ويجب أن تجتمع كل الصِفات في ذلك الشخص وكم أنّها فِكرة مُرعبة أن تقضي عُمرًا مع نفس الشخص تحت مُسمى الزواج ..!

يوسف

قبل سنة :

كنتُ جالسًا في إحدى مقاهي مدينة (تورنتو) في كَندا مُمسكًا بهاتفي أراجع مشافي القاهرة التي سيتم تعييني في واحدة منها ثم ظهرت لي في الأخبار مُراجعة إحدى الروايات وقد كانت أكثر مَبيعًا في القاهرة فلفت إنتباهي إسمها والذي كان شقة الأموات وأنا بطَبعي أعشق كل ما يتعلق بالرعب ولذلك قررت شراءها إلكترونيًا وعلى كلِ لم تكن سوى مئتان صفحة فقررت قراءتها ليلًا في الطائرة وهممتُ بالرحيل لأقدم أوراق سفري وكنتُ أشعر بالرَاحة الشديدة لأنني وأخيراً سأعود للقَاهرة التي إشتقتُ لكل ما بها وكم أهلكتني الغُربة فبتُ كثيراً من الأحيان منزويًا ومررتُ بصعوبات لا تُعد كي احافظ على مبادئي وعاداتي كرجل شرقي ديني فلم أجعل لِباس الغُربة يُغير من صِفاتي التي نجح أبي في زرعها داخلي وكأنّها جزءَا لا يُجزأ مني وأفقد هيئتي وحياتي ومهنتي إن فقدت قيمي ومبادئي وانتهى يومٍ طويل كالعادة حتى عُدت لمنزلي وبدأت في توضيب حقائبي وإستيعاد بعض الذِكريات فقد قضيتُ عمرًا هُنا ثم أتى أبي ليُوصلني للمطار ويودعني ويربت على كَتفي بحَنان حتى وصلت للمطار وحاولت الحفاظ على إبتسامتى وأتحلى بالتفاؤل وأثناء ركوبي الطائرة قررت قراءة الرواية والتي كان تحكي عن معاناة أشخاص بمُختلف الأعمار والتي تنتهي حياتهم بالموت أو القتل وقد شعرتُ بنفسي في كل الشخصيات حتى إنها لمست شيئًا ظننتُ انه مات داخلي بموت حبيبتي (نارين)، قررت مقابلة الكاتبة فبدت أنّها حكَت الكثير ولديها أكثر ثم إنتهيت من الرواية وحاولت النوم وقد حلمت بنارين تأتي لي سيرًا وهي ممسكة بيد فتاة أخرى

ويضحك كلاهما بركض ولكن لم المح مَلامح الفتاة الأخرى فكانت مُشوشة ولكني رأيتُ عيناها كانت زرقاء صافية تُسحر مَن ينظر لها ولكني عُدت لأنظر لنارين والتي إبتسمت بحُب لي وإختفت ونانديتها ولكنها تركت الفتاة التي أحضرتها وحينما كنتُ سأرى ملامحها إستيقظتُ بفزع وتنفست بصعوبة وشربت بعض الماء وبكيتُ برَتابة وكأني إعتدتُ البكاء عليها فلم أتشنج أو ارتجف كما كُنت أفعل قبل أربع سنوات أثناء مَرَضها وموتها ثم مسحت دُموعي مُربتًا على قلبي بهدوء وشاهدتُ فيلمًا حتى هبطت الطائرة في محطة إستراحة بمطار فرانكفورت في ألمانيا وذهبت إلى الأستراحة كي أتناول طعامي ثم فاجأتني رؤية صديقتي في المدرسة الثانوية (كارمن) هُناك فجاءت لتُرحب :

ـ كيف حالك ؟ .. لو تعلم كم إشتقت لك ..

ـ بخير .. أنتِ ؟

ـ بخير تمامًا .. تخرجت صحيح ..

ـ نعم ومازلتِ في سنتك الأخيرة ..

ـ حسنًا .. نعلم أنّ جامعتك تنتهي أبكر مننا بسنة ..

ـ ماذا تفعلين في ألمانيا ؟

ـ جئتُ لزيارة عمتي .. وسأعود للقاهرة بعد ثلاثة أيام ..

ـ لماذا لا تظلين مع عمتك فترة أطول ؟ .. تعيش وحدها هُنا

ـ صديقتي المُقربة أعلنت إنفصالها منذُ يومين وأحتاج أن أكون جانبها ..

ـ هل كانت تحبه ؟

ـ كثيراً كعادتها تحب وكأنّ العالم سينتهي .. مثلك ..

ـ كيف هيَ حياتك ؟

ـ بخير تمامًا .. حمدًا لله ..

ـ عندما تعودين للقاهرة سنشرب قهوة معًا .. وستعرفيني على صديقتك البائسة وهيّ وكل أصدقاءك لأنني أحتاج بناء عِلاقات في القاهرة ...

ـ بالطبع .. لا تقلق من ذلك الأمر ..

ـ كيف حالك مع مروان ؟

ـ يسافر كثيراً السعودية بسبب عمله وأنا اغرق في دراستي للطب النفسي ..

ـ أحتاج أيضًا للتحدث معك كطبيبة وليس كصديقة

ـ أتعلم ؟ .. أخبرني كل أصدقائي تلك الجملة ..

دوى صوت يقول بأنّ موعد طيارتي قد حان للرحيل :

ـ يجب عليك الرحيل ..

ـ نعم ..

ـ انتظر ..

أخرجت ورقة صغيرة كتبت بها عُنوان المنزل ورقمين :

ـ تلك كي تتواصل معي عندما أعود .. وبالتأكيد سنكمل حديثنا على مواقع التواصل الإجتماعي ..

أخذت الورقة وأشرتُ لها و ودعنا بعضنا وعُدت أجلس في الطائرة وقررت الخُلود للنوم ..

وصلت وبمُجرد هبوطي وجدت عُنُود شقيقتي التي تكبرني بثلاثة أعوام في إنتظاري فإحتضنتي :

ـ كيف حالك يا رجل ؟

ـ بخير .. إشتقتُ لكل شئ هُنا ...

ـ ستبيت الليلة في منزلي كما أنّني أرغب أن أعرفك بأحد ..

ـ أووووه .. هل وقعت بالحُب ؟

ـ أعتقد ذلك ولكن لستُ متأكدة بعد ..

ـ سنرى ذلك الأمر ولكن بعد أن أرتاح ..

ـ سيارتك جاهزة .. ومنزلك سيجهز خلال ايام ..

كانت أختي في التاسعة والعشرين من عُمرها .. سيدة أعمال قوية تتولى إدارة شركة أبي بعد تقاعده والتي لم يفرضها عليّ لأنه يعلم مدى حُبي للطب ، بدا كل شئ مثلما تركته منذُ سنوات طويلة في القاهرة وفي خلال أيام استقررتُ في المشفى ثم حان وقت مَعرض الكِتاب والذي أصررتُ أنا أذهب له بسبب حُبي للقراءة وأثناء قيادتي سهيتُ عن الطريق فاصطدمتُ بدراجة فتاة وترجلت مسرعًا لأراها تجلس أرضًا :

ـ هل أنتِ بخير ؟ .. أنا طبيب إهدئي ..

ـ لستُ قلقة .. وأنا أيضًا طبيبة ..

ـ حسنًا .. إصابة رأسك ليست خطيرة ..

ـ أعلم .. ولكن يوجد إصابة خطيرة ..

ـ أين ؟

أشارت بيدها على الدراجة :

ـ يمكنني التعويض ..

ـ لا يمكنك التعويض إنها دراجتي المُفضلة .. إشتراها لي أبي ..

نهضت لتقف من الأرض وهيَ تأفُ كطفلة وكان شعرها قصيراً وملابسها مُتواضعة وعندما نظرت في عيناي تغيرت ملامحي بدَهشة لإدراكي أنّها نفس العينان التي زارتني في الحُلم :

ـ لماذا تنظر لي هكذا ؟

ـ لا شئ ..

ـ ألن تعتذر ؟

ـ أعتذر .. لم أقصد ذلك

ـ حسنًا .. لا بأس .. ولكن إنتبه فقد لا يحالفك الحظ مرة أخرى ..

ـ يمكنني إيصالك للمعرض ..

نظرت لي وهيَ تضم حاجبيها بغضب :

ـ كيف علمت أني ذاهبة للمعرض ؟

ـ ترتدين الكارنيه الخاص به ...

ـ فرصة ليست سعيدة .. أتمنى أن لا تتكرر ..

قالت ذلك وركضت في إتجاه المعرض بعد أن وَضعت دراجتها جانبًا وعُدت للسيارة لركنها ثم إتجهت وقد إشتريت الكثير من الكُتب والروايات لمكتبتي ورأيتُ إعلان رواية شقة الأموات فتذكرتُ أني أريد رؤية الكاتبة فوَجهني بعض المارة لمكان وجودها وقد وجدت إزدحامًا كبيراً حولها ، لمحت وجهها فكانت نفس الفتاة فسرقت لحظات من الوقت كي ادرك أنها نور القاضي الكاتبة والتي طبيبة أيضًا ثم لم أستطع تحمل الإزدحام فرحلت وأجلت مقابلتي لها ولم أنكر أنها نجحت في أن تنال إعجابي وخاصةً ذلك الحُلم الغريب الذي لم أرى له تفسيراً فما علاقة نارين رحمها الله بتلك الفتاة ، مرّ أسبوع وقررت زيارة كارمن هيَ وزوجها مروان وقد قابلوني بكل ترحاب وجلست أتعرف على علاقتهم الجميلة فكانا كلاهما زوجين عمليين ويهتمون بإنشاء حياة سعيدة لأبناءهم ورأيت هُناك رواية شقة الأموات وتناولتها بيدي :

ـ هل قرأتيها ؟

ـ أول مَن قرأتها ..

ـ هل قابلتي الكاتبة ؟

إبتسمت لي وأحضرت إطار به صورة لهما :

ـ صديقتي المُقربة .. التي إنفصلت عن خطيبها من أسبوعين ..

ـ قابلتها من أسبوع ..

ـ بالتأكيد أحبتك ..

ـ لا .. صدمتها بالسيارة ودمرت دراجتها ..

ـ هل انتَ ذلك الوغد الذي قضت ليلتان تسبه ؟

رفعت حاجبيَ بدهشة :

ـ لا الومها .. فتلك دراجتها المُفضلة .. التي أحضرها أبوها لها منـذُ سـنوات .. ألستُ تتذكرها ؟ .. أعتقد أنك تعرفها فكانت في مدرسـة **** الإبتدائيـة ...

ـ كيف ؟ ... أي فصل ؟

ـ لا أعلم ولكنها كانت مشهورة بحُبها الطفولي لولد يُدعى...

ـ يوسف ..

ـ أووه .. أتعرفه ؟

لم أصدق أنّ الصدفة جمعتني بها بعد تلك السنوات فضحكت بهستيرية :

ـ أنا هو ...

ـ حقًا !!

أخذت أتذكر بعض وعودنا الصغيرة التي وضـعناها في الهـواء بإسـم الحُـب وأتذكر ضفيرتها الصغيرة وركضها في الطرقات ومدى رِقتها وطيبتهـا فكانـت تبكي لو رأت أحد يبكي وترغب بحل مشاكل العالم بأكمله ولو أخبرهـا أحـد كلمة سيئة تذهب وتبكي في آخر الفصل دون أن تزعج أحد وكنـت أذهـب لأحاول مواساتها فمِن وجهة نظري الطفولية هو أنها لا يجـب أن تحـزن او تبكي أبدًا وشعرت بفرحة داخلي عندما وجدت حِسابها على مواقع التواصل

الأجتماعي فكان عليه الكثير من الناس فأدركت أنها لن تنتبه لي و وجدت حساب كريم فتذكرت أنه اخاها فأرسلت له بطلب صداقة وبدأت أتصفح نجاحها الباهر فأصبحت كاتبة طبيبة شديدة النجاح والشُهرة تتوجه بالكثير من النصائح للفتيات ومُدافعة عن حُقوق المرأة وكما هيَ لم تتغير فترغب في جعل الجميع بخير وترك أثرًا جميلًا في العالم كما فعلت مع قلبي ، بعد أسبوع قابلتُ كارمن :

ـ أرغب في التعرف عليها ..

عبست ملامحها :

ـ يوسف .. نور مرّت بالكثير من الصُعوبات وخاصةً في علاقتها الأولى فأخذت حوالي سنتان كي تتعافى من الأكتئاب وتتناول مهدئات ثم كان سيعود وتركها مجددًا فانتكست وبعد أن ارتاحت قليلًا تعرفت على خطيبها الثاني وهو المهندس طارق وتشاجرا قبل الزواج بأسبوع وقرر الإنفصال عنها لسبب تافه لا يُذكر وهيَ حاليًا تحاول أن تتعافى .. كما أنها لم تُجرح من الحُب فقط بل خذلها الكثير .. الكثير حقًا من أصدقاءها وهيَ الآن مُكتفية بأشخاص قليلون جدًا في حياتها ولذلك يجب أن تحدد إن قررت الإقتراب كأصدقاء فذلك ليس الوقت المُناسب ولن يأتي ذلك الوقت ولكن إن قررت الإرتباط جديًا بها فيجب عليك الإنتظار حتى تتعافى من طارق .. إن دخلت الآن في حياتها بأي شكل ستقوم بطردك منها فهيَ خائفة كثيراً من التعلق والخُذلان .. أتمنى أن تتفهم حالتها وخاصةً أنها الآن عادت لتتناول أدوية الأكتئاب وأرغب منها أن تتعافى بأسرع وقت ممكن ..

ـ لكنني رأيتها بعد إنفصالها وقد كانت بخير !

ـ ليس بالضرورة أن يكون الشخص المُكتئب جالسًا في سَريره يبكي رافضًا كل سُبل الحياة فيُوجد فرق بين حالة الإكتئاب ومرض الإكتئاب ، الحالة دائمًا ما تكون مؤقتة ويمكن أن تتعافى ببعض الأدوية وتغيير نفسي ـ إيجابي بينما المَرض يمكن أن يستمر لأعوام طويلة ويعجز المَريض عن الخروج من إطاره .. نور مُصابة بمرض الإكتئاب والذي تستمر بحياتها به بشكل طبيعي ولكن في النهاية فقدت الثقة والشُعور بالآمان وتخشى ـ أن يقترب منها الناس وعندما ينتهي إزدحام يومها تجلس في ركن منزوية ببكاء على ما حدث وتشتاق أثناء يومها المُزدحم ..

ـ حسنًا ..

ـ ماذا حسنًا ؟ ماذا قررت ؟

ـ سأنتظرها وأستقر في عَملي وحتى يأتي ذلك الوقت المُناسب فليس لأني علمت أنها مريضة قليلًا أتركها وأعدّل عن رأيي ..

ـ هل أنت متأكد من ذلك القرار ؟

ـ نعم .. إستخرت الله وفكرت كثيراً كما أنني أتفهم حالتها جيدًا فمررتُ بمثلها عندما ماتت نارين ..

ـ رحمها الله ..

ـ ولكن سأتحدث مع جدها فيجب أن أعلمه برغبتي وسأؤكد عليه أن لا يخبرها ...

****

" أعترف لكِ أنّ أجمل مَا حدث لي كانّ أنتِ ، وأسْوَأ مَا حدثّ لكِ كان أنا "

الآن :

شعرتُ أنها حزينة تائهة شديدة القلق ولا أعلم ما أصابها اليوم فكانت أمس بخير وبالتأكيد لم تكن بتلك الحالة بسبب السيدة التي تعرضت للعُنف فهيَ ناضجة كفاية لتفرق بين حياتها العملية وحياتها الشخصية وبالتأكيد حدث أمرًا جعلها تعود خائفة كما كانت قبل أشهر وسأعرفه حتى لا ارى نظرة الخوف تلك في عينيها مجددًا ، لم ألبث إلا وجعلت عُنُود توصل أمي لمنزلها وقُمت بالتحدث مع كارمن :

ـ هل حدث أمس أي أمر جعل نور تمرض مجددًا ؟

ـ أمس ! .. لم تخبرني شئ .. كما أني لستُ في القاهرة ..

ـ حاولي التحدث معها وأخبريني ما بها فلن أنام إلا بعد أن أطمئن.

ـ حسنًا .. سأتحدث معها ...

ظللتُ اسفل منزلهم ولم أرحل وظللتُ أنظر لها وهيَ تقف في النافذة وتتحدث مع كارمن في الهاتف وتارة تعبس وتارة أخرى تبتسم وتضحك ثم هربت دَمعة من عينيها والتي أقلقتني وأحزنتني جدًا فبدات بالتحدث مع نَفسي :

ـ ماذا فعل بكِ البشر الذين لا يملكون رحمةً ؟ كيف هنتِ على الحياة لتصفعك بذلك الشكل ؟ .. أعتذر إن أتيتُ لكِ بوقت متأخر وكنتِ قد إكتفيتِ من العلاقات الفارغة التي سممت قلبك الوردي ولكن سأحاول جعلك تشفين من كُل ذلك الحُزن .. سأفعل ما بوسعي ..

بمُجرد إنتهاءها من الحديث تحدثت أنا مع كارمن :

ـ هيَ ليست بخير .. فقد قابلها أحمد أمس ..

ـ أحمد !! .. لماذا ؟ .. هل صدفة ؟

ـ لا .. أتى لها المشفى ورغب بالتحدث معها فوافقته وأعتذر لها ورغب أن يعودا سويًا وبدأ في تبرير أخطاؤه ..

ـ ألم تكف عن حبه ؟

ـ بلى .. ولكن ما أحزنها هو فكرة أن الحب الذي ظنته أبديًا انتهى .. وقد تذكرت قليلًا من الذي عانته معه ..

ـ انتكست ؟

ـ لا .. ليس لتلك الدرجة ..

ـ بماذا تنصحيني ؟

ـ اطلب مُهلة من الوقت لتثبت أنّك لست كمَن سبقوك

ـ حسنًا يا كارمن .. أشكرك

ـ لا يوجد شكر بين الأصدقاء ...

ودعتها وعزمت على الحصول على فُرصة من نور وإن اضطررتُ سأنتزعها برغبتها لقلبي ، مرّ الليل ورأيتها تنزل وتركب دراجتها فذهبت للمشفى قبلها وقمتُ بتغيير ملابسي هُناك وجهزت كوبين من القهوة ثم ذهبت لمكتبها فوجدتها وصلت هُناك وبيدها كوبين من القهوة فضحكنا كلانا لأنها كانت آتية لي أيضًا :

ـ يمكنني شُرب كوبين ..

ـ لكي نموت من الكافيين ..

خرجت بكوبين في يدها وأعطتها لزملاءنا ثم أشارت لي بإبتسامة لنقف في الشرفة فذهبتُ خَلفها وأتساءل عن حيويتها ونشاطها وكأني لم أراها تبكي أمس :

ـ كيف حالك ؟

ـ بخير .. أنتِ ؟

ـ حمدًا لله ..

ـ في السراء والضراء نحمده .. بخير ام لا ؟

ألقتني بنظرة غريبة عِند سؤالي وأردفت بتردد :

ـ بخير .. أعتذر عن فظاظتي أمس فلم أكن أعرف أنك عُدت قبل عام ..

ـ نعم .. عُدت وتقابلنا ..

ـ حقًا ! ..

قصصتُ عليها كيف صدمتها بدراجتي :

ـ حزنتُ كثيراً على تلك الدرّاجة ..

ـ نعم وقضيتِ يومين تسُبِيني ..

قالت بدهشة كبيرة :

ـ كيف تعلم ؟

ـ أخبرتني كارمن فهيَ صديقتي في المدرسة الثانوية بكَندا ..

ازدادت دَهشتها :

ـ هل إتفق الجميع عليّ ؟

ـ ليست تلك الفكرة ..

ـ يوسف .. اسمع..

ـ أنا سأتحدث أولًا .. أعلم أنك سبق وذقتِ مرارة الحُب كثيراً في علاقات لا داعي لتذكرها وفقط أحتاج مُدة ولتكن شهراً لأثبت لكِ اني حقًا لستُ مثلهم ولن أؤذيكِ عن قصد أبدًا وأريد إخبارك بأنكِ لستِ على إضطرار بإدّعاء أي شئ لستِ عليه أمامي فأنا سأتفهم مهما كان الوقت والمكان والأشخاص ..

****

" ليس ثمة حُب سئ ولكن هُناك
حبيب سئ لا يصلح للحُب "

ويليم شكسبير

نور

كان يتحدث بنبرة مطمئنة جعلتني أرتاب خشية الإطمئنان ثم قررت إعطاؤه ذلك الشهر فربما يكون مختلفًا حقًا عنهم تلك المرة:

ـ لكَ ذلك الشهر ..

قلتها برِضا قلبي فقابلتني إبتسامته اللطيفة :

ـ لن أجعلك تندمين بعون الله ..

ـ لا أندم بسبب أي علاقة أدخلها فبالنسبة لي كُلها تجارب أتعلم منها ..

ـ اليوم السادس عشر من أكتوبر وفي السادس عشر من نوفمبر سينتهي شهري ..

كان على كِلانا التوجه للمرضى على عهد أن نقعد معًا كثيراً لكي تزداد الصلات بيننا وأتمنى حقًا أن لا اضعه فتلك الخانة التي يجلس بها طارق وأحمد في عَقلي ، إتجهت لأطمئن على مرضاي وأحاول بقدر الإمكان أن أخفف عنهم نفسيًا ثم قابلت الصغيرة مريم وكانت جالسة تبتسم في غرفة أمها فاتجهت لها وجاءت لتحتضني :

ـ أشكرك لأنكِ اخبرتِ الشرطة ..

ـ عفوًا .. كيف حالك ؟

ـ سأكون بخير عندما تستيقظ .. تم القبض على أبي أمس وعلم خالي بالأمر وقرر أن يحدث الطلاق بأي شكل فلم يكن يصدق أمي عندما تشكيه والآن لن نعود إليه ..

ـ حمدًا لله ..

أخرجت بطاقتي لها والتي بها ارقامي :

ـ احتفظي بتلك وإن إحتجتِ أي شئ بأي وقت حادثيني وعلى كلِ تعـرفين مكان المكتب وإن لم أكن هُنا يمكنك الذهاب لمكتب الطبيب يوسف ...

راجعت حالة والدتها سريعًا ثم كان عليّ الدخول لغرفـة العمليـات وكانـت تلك ثالث عملية لي من بداية عملي لأنني دكتـورة جراحيـة وتـوترت قلـيلًا خشـية أن أتسـبب بـأي خطـأ وبعـد أن تعقمـت وكنـتُ سـأدخل أوقفنـي يوسف وبيده سِوارًا فإبتسمت :

ـ مازلت تتذكر ..!

ـ نعم ولكن ذلك سِوار مشابه له وليس الأصلي ..

أعطاني إياه :

ـ اعلم أنكِ متوترة الآن فكنتُ مثلـك في العمليـات الأولى لي ولـذلك أتيـتُ لأخبرك أن تحافظي على تركيزك بقدر إستطاعتك ..

تناولت السِوار منه وإرتديته :

ـ ليكون تميمة حظ لي ..

دخلت العمليات وبدأت في إقامة ما يجب فِعله وأنا أحـافظ عـلى مسـتوى تركيزي ومدى قوة إنفعالي حتى إنتهيتُ بعد ساعات وخرجت لأغير ملابسي سريعًا ثم ذهبت لمَكتبي فوجدت كريم به يجلس مـع يوسـف ويضـحكون بشدة وكأنهم أصدقاء منذُ زمن :

كريم : عزيزتي المُرهقة ..

قال ذلك وهو يحتضنني ولاحظت إبتسامة يوسف اللطيفة لنا فلم يفعل مثل أحمد ويعبر عن غيرته المُبالغ بها من كريم الذي هو خالي ويتحجج بأنه أكبر مني بست سنوات فقط ولا يجوز لمسه لي:

ـ لماذا أتيت ؟

كريم : كي احضر نتائج تحاليل جدي ..

ـ نعم لقد نسيتها ..

يوسف : كيف كانت العملية ؟

ـ مُرهقة كثيراً ..

يوسف : طلبت طعام لأنه حان موعد الغداء ..

ـ اووه .. سأعتاد على ذلك ..

كريم : اعتادي عزيزتي .. سأرحل أنا فلديّ الكثير من العمل ..

ودعناه وجلست أمام يوسف ودققت في وجهه :

ـ أنتِ تُخفيني بتلك النظرات ..

ـ ماذا طلبت ؟

ـ طلبت بيتزا ..

ـ بالدجاج أم الخضار أم اللحم ؟

ـ لماذا تسالين ذلك السؤال بتلك النبرة ؟ .. اخاف

ـ أجب على سؤالي ..

ـ واحدة بالدجاج و واحدة بالخضار ..

ـ لا أحب الخضار ..

ـ خذي الدجاج ..

ـ أتى الطعام ..

تناول يوسف الطعام من الممرضة وشكرها وبمجرد رؤيتي له عبست ملامحي :

ـ أين مشروبي الغازي ؟

ـ انا جائع ..

أملتُ رأسي لكتفي بدلال :

ـ يوسف ..

ضحك لطريقة نطقي لإسمه وخرجَ ليحضر لي مشروب غازي وعاد مسرعًا وتناولنا معًا الطعام وأعترف حقًا لم أضحك بتلك الطريقة منذُ مدة وبعد مراجعة كل المَرضى وحلول الليل قابلته أمام باب المشفى وإعتقدت أنه سيعرض عليّ ان يوصلني ولكنه أنهى الحوار بلطف وهمّ بالرحيل :

ـ هل أنتَ على عجلة من أمرك ؟

ـ لا .. لماذا ؟

ـ ألن تعرض عليّ أن توصلني للمنزل بشهامة لأنّ الوقت تأخر قليلًا ولا يجب على ركوب الدراجة في ذلك الوقت والمنطقة معزولة ..؟

ـ لا لن أعرض عليكِ ولكن إن أردتِ يمكنك المجئ .

ـ ألا تقلق علي ؟

ـ بالطبع أقلق عليكِ ولكـن لم أرد أن أكـون في جميـع لحظـات يومـك كي لا تملي مني ..

ـ حسنًا ماذا ستفعل الآن ؟

ـ سأذهب ..

نظرت له بإستعجاب ثم ضحك وأردف :

ـ أنتِ لا تعودين لمنزلك بالدراجة ليلًا بل تستقلين سيارة أجرة كما أنّ ليس هُناك داعٍ كي أقلق فإن ركبتِ الدراجة فسأسير خلفك بالسـيارة حتـى نصـل للمنطقة المزدحمة ...

ـ هل تراقبني ؟

ـ لا .. ليس ذلك المقصد .. فقط أردت أن أطمئن لأنني لا أسـتطيع التـدخل في خصوصياتك ولا أستطيع فرض أن تركبي معي إن كنتِ لا ترغبين .

اللعنة ! اشعر بكلامه يتسلل لروحي ببطئ وأخشى أن يصل لقلبي وقبل أن نكمل حوارنـا الـذي يكـون الفـائز بـه وصـلت سـيارة الأجـرة التـي طلبتهـا فابتسم لي بإنتصار عندما رآها ثـم إقـترب وفـتح لي بـاب السـيارة الخَلفـي وقام بإعطاء المال للسائق على تأكيده أن يوصلني للمكان الذي سأخبره بـه و ودعته وانا ألوح بيدي ثم وصلت للمنزل وغـيرت ملابسي. وأخـبرت أمـي عن ما فعله يوسف اليوم :

ـ اخبرتك انه بشوش طيب خلوق وكم أنه جميل و وسيم ومُراعي ومُهتم و...

ـ امي .. توقفي .. سأكرهه ..

ـ أتمنى أن يقذف الله حبه في قلبك ويكون دائم السند لكِ وأن يتمم الأمر على خير ...

ألقت امي دَعواتها في الغرفة وخرجت لتكملها في الخارج وعزمت على كتابة عِدة صفحات من عِشتار حتى الفجر ..

في اليوم التالي إستيقظتُ متأخرة مُرهقة بسبب السَهر وإرتديت ثيابي وذهبت المشفى بسيارة أجرة وعند دخولي المَكتب لاحظت باقة زهور كبيرة باللون الأصفر فتناولت الكارت لأجد به " ألا أستحق فرصة ثانية كزهورك المُفضلة ؟ " وكان مُوقعًا بإسم أحمد مما عكّر يومي في بدايته ، أيمزح حقًا ؟ فقد أمطرت عليه بالفُرص في وقت ما وألقاها جميعًا أرضًا بدون مبالاة كما أني لم أعد أحب اللون الأصفر فبات يذكرني به وبكل ما مررتُ ، دخل يوسف المكتب ولاحظ باقة الورد وكانت ملامحه مُتغيرة وحاولت تبرير موقفي :

ـ جاء الورد من .. من..

ـ أحمد .. اعلم فقابلته في الأسفل ..

توترتُ بشدة عند قوله ذلك ولكنه لم يغضب عليّ أو يقول أي شئ على الرغم مِن أنّ وجهه تلون باللون الأحمر من الغضب :

ـ هل أنتِ بخير ؟

ـ بخير .. لماذا ؟

ـ تبدين مُرهقة .. هل سهرتِ أمس ؟

ـ نعم .. هل مازال بالأسفل ؟

أشار برأسه إيجابًا مما جعل توتري يزيدوإرتجفت ولكن لم أجعله يلاحظ :

ـ إن لم ترغبي بالتحدث معه .. يمكنني إرساله ..

هززتُ رأسي موافقة على كلامه وتناولت قِصاصة ورق صغيرة وكتبت بها شئ وأعطيته إياها :

ـ أعطيه تلك وأخبره أن يذهب ..

لاحظ إرتجاف يدي وأنا أعطيه الورق فتناولها بهدوء وخرج وخرجت أنا خلفه وراقبته من الشُرفة وإطمئننتُ كثيراً لأمانته عندما لم يقرأها ثم قابله وأعطاه الورقة ودار بينهما حِوار وددتُ لو سمعته وكان أحمد متهوراً كعادته ويرغب بالتحدث معي بأي شكل وإن كان يعلم أنّ ذلك سيؤذيني ، رحل بعد طول معاناة من يُوسف ورأيته عائدًا فذهبت للمكتب وبعد دقائق من الألم النفسي الذي كابحته أتى لي يوسف مبتسمًا وكأنّ شيئًا لم يكن وبيده كوبًا به سائل غريب :

ـ تلك أعشاب إيطالية مُفيدة جدًا للإرهاق ولكن طعمها سئ قليلًا.

وضع ذلك الكوب أمامي وإبتسمت بإمتنان لمحاولته اللطيفة كي يخفف عني :

ـ ماذا أخبرك ؟

ـ كلام ليس له فائدة .. لا داعي لتعرفيه ..

ـ يجب عليكَ إخباري ..

ـ جئتِ متأخرة .. يجب عليكِ مراجعة مرضاكِ ..

كاد أن يخرج ولكنه عاد وسأل مشيراً على الورد بسُخرية :

ـ هل تريدي ذلك الشئ ؟

ـ لا .. ولكن لا تلقيه في القمامة ..

ـ بالطبع لن أفعل .. ما ذنب الورد بذنوبه ؟

أخذه وخرج وبدأت في مراجعة مَرضاي بشغف لا أملكه ولمحت يوسف من بعيد يُوزع الورد على الأطفال والمرضى ويفرحون كثيراً لذلك وأكون أنا أكثرهم فرحًا وسعادة ..

****

" يكُونُ المَرءِ في غَايةِ الجنُون عِندمَا يُحبُ "

فرويد

يوسف

بدأ يومي بشكل طبيعي وذهبت للمشفى ولم أجد نور قد أتت لأنني قررت أن أفاجئها ببعض الشوكولاه التي أحضرتها ثم فوجئت عند البوابة بشاب في السابعة والعشرين يقف أمام المشفى ذو ملامح بسيطة ولكن وَسيمة وشعر بنيَ طبيعي ويبدو عليه الحُزن فإتجهت له :

ـ هل لكَ مريض هنا ؟

ـ لا .. أتيتُ لرؤية طبيبة ..

ـ أووه .. لم أكن أعلم أنّ لإحدى زميلاتي مُحب ..

فرك شعره بخجل :

ـ ماذا تنتظر إذًا ؟ .. إدخل.

ـ أنتظرها .. لم تأتِ بعد ..

ـ حسنًا .. أنا الطبيب يوسف إن احتجت أي شئ يمكنك سؤال الممرضات عني ..

ـ وأنا أحمد ..

مدّ يده ليصافحني ولكني ظللت ثابتًا تتعالى الشكوك داخلي عن إن كان هو حقًا أم لا فمددتُ له يدي :

ـ مّن تنتظر ؟

ـ الطبيبة نور ..

تركتُ يده مسرعًا وكأني أصبت بصُعق كهربائي ورحلت وتركته وأحاول إستجماع ما تبقى لي من العقلانية فشعرت أنّ الغضب يسير في شراييني ورغبت بالذهاب وقتله ولكنني تحكمت بأعصابي حتى أتت نور ورأيتها تصعد مسرعةً ولم تراه ثم خَلَفَتَها وكانت تمسك بالكارت الذي نُقش عليه إسمه وتوترت عند دخولي فلم أرد أن أزيد همها فيكفيها ألمه كما أني لاحظتُ مدى إرهاقها فتجنبتُ كُل الخلافات كما أنّ لا ذنب لها بأي شئ فهيَ المظلومة والبريئة الوحيدة وبعد الحوار بدأت بخط شئ له فرأيت ما كتبت " لم أعد أحب اللون الأصفر ولم أعد أحبك وأتمنى مجددًا أن لا أراك وكما أخبرتك إنتهى كل شئ ولا مجال للعودة " فرحت لكلامها ذلك وشعرتُ بلذة إنتصار وسرتُ ذاهبًا له وكُلي رغبة في قتله ولكن داخلي يخبرني أن أحترم وجوده قبلي وحُزنه وندمه وإدركه للأمر بعد فَوات الآوان وضمّ حاجبيه عِندما رآني ولكني لم أعطيه حق الغيرة وناولته قِصاصة الورق:

ـ تُعطيك تلك ..

قرأها وقد شعرت بتخبطه وتغير ملامحه فقد كان آتيًا مليئًا بالأمل ولا أنكر أني رأفت عليه :

ـ أحتاج للتحدث معها ..

ـ لا تُريد التحدث ..

ـ هي تحتاج التحدث معي ..

ـ أنتَ تؤذيها بتهورك وهيَ لا ترغب ولا تحتاجك بعد الآن ولا يمكن العودة من ذلك الطريق ،أتمنى أن تفهم أنّ الأمر إنتهى ..

ـ مَن أنتَ لتحدد ذلك ؟.

ـ أخفض نبرة صوتك كما أنها هيَ مَن حددت ذلك .. لستُ أنا .. والآن ارحل ولا تقاطع طريقها مجددًا

ـ لستُ سوى زميل لها .. لا يجب أن تتدخل في حَياتها بذلك الشكل.

ـ إرحل وإلا سأنادي الأمن وكما أنّ تلك مشفى ليست مكان مُناسب للتحدث وكل الأماكن ليست مُناسبة للتحدث .. أرجو أن تتفهم إنتهاء الأمر ..

خرج الألم من داخله على هيئة غضب يخرجه على أي شئ ورحل بائسًا حزينًا ، وذهبت لإحضار مشروب يخفف التوتر و وضعت به حبة مهدأ أخبرتني به كارمن وتنفست قبل الدخول لها لأجدها حَزينة وبعد خُروجي قررت توزيع تلك الورود على مَن لا يعلم بماضيها ، تحدثت مع كريم وأخبرته أن يرى ما يجب فِعله ما أحمد فأكدّ عليّ أنه سيتحدث معه بحَزم لينهي ذلك الأمر ولا يعترض طريقها مجددًا واقترحت عليه ممارسة العُنف على أحمد ورَحب كثيراً بالفكرة ولكن سُرعان ما تراجعنا عنها ومرّ الأيام وكانت نور بخير تمامًا وأنجح في جعلها تطمئن لي حتى ذلك اليوم الذي جرى به الحادث الأليم لأسرة مُكونة مِن والدان وبِنت بعُمر الرابعة و وَلد حديث الوِلادة ولكن لم تكن تلك المُشكلة ...

" لا يستحقك ذاك الَّذِي يُشعرك دائمًا أنك لا تُساوِي عندَه أي شيء. "

نور

نجح يوسف خلال أيام في سرقة القلق والتوتر من داخلي وجعلني أثق به وقد شعرت بالأمان ..! وذلك ما إفتقدته في علاقاتي السابقة فتأكدت أنه لن يؤذيني حتى وإن افترقنا فإنه سيفعل ذلك بطريقة لن تؤذيني ، لم أعد اهتم بالحُب فمرارته أنستني حلاوة الأمان والإهتمام والمَوَدَة ، في يوم طبيعي حدث أمرًا جعلني أعود لمَرضي ، إنقلبت السيّارة بأسرة بسيطة وقفز الأب خارجها عندما شعر بالخطر وكنتُ بالخارج مع يوسف ولكننا عُدنا مُسرعين عند علمنا وإتجهت لغرفة العمليات مسرعة ونجحت في إنقاذ الأم ونجح يوسف في إنقاذ الطفلة الصغيرة وكان الرضيع في العناية الفائقة و وجب عليّ الخروج لمُقابلة الأب مع يُوسف فلم ألبث من الدَهشة عندما رأيتُ أنه طارق !!

حاولتُ تكذيب عيناي ولكن كانت الحقيقة اللاذعة وعجزتُ عن تصديق ذلك وحتى أني شعرتُ بالدُوار وأمسك يوسف يدي :

ـ هل أنتِ بخير ؟

ـ هل ذلك الأب ؟

ـ نعم .. ماذا حدث ؟

ـ اخبره بحالتهم لأني أحتاج أن أرتاح ..

ـ هل آتي مَعك ؟

ـ لا ..

تركته وسِرتُ بعيدًا أستند على كل ما أقابل حتى ذهبت لغُرفة ودخلت وأغلقتها جيدًا وجلستُ أرضًا أعجز عن التنفس والبُكاء وكأنّ دموعي المُتراكمة جفّت من هول الصدمة وأخرجت هاتفي وتحدثت مع كارمن :

ـ أنا في غرفة الأرشيف بالمشفى .. تعالي

ـ لماذا صوتك هكذا .؟ هل أنتِ بخير ؟

أغلقتُ الهَاتف وكأنّ هُناك صخرة على قلبي تمنعني من التحدث ولم تمر دقائق حتى أتت كارمن وفتحتُ لها الباب لتنتفض عند رؤيتي أجلس أرضًا أعجز عن التنفس :

ـ ما الذي حدث ؟

ضغطت على قلبي محاولة التنفس وتحدثتُ بإرتجاف :

ـ أعطيني أي شئ يجعلني أنام

ـ حسنًا .. ما الذي حدث ؟

ـ طا.. طارق هو الأب ..

ـ كيف ؟

صرختُ بإنتفاض لأني شعرتُ بثِقل الصخرة يزداد حتى كاد يقتلني :

ـ أعطيني أي شئ كي أنام ..

خرجت لدقائق ثم عادت بيدها دواء فتناولته دون التفكير وشعرتُ وكأنّ أطرافي خفيفة و بعد فترة ليست بوجيزة إستيقظت على سريرِ بملابسي ـ ولم آخذ من الوقت سريعًا حتى أدركت أنني مازلتُ في المشفى فنهضت

مسرعة لأكمل عملي وأراجع مرضاي متجاهلة ألمي الـداخلي المُميـت ، بعـد مُراجعة الأم والإبنة وبقيـة المـرضى صـادفتُ يُوسـف والـذي أتى لي متلهفًـا بنظرة عِتاب :

ـ لماذا نهضتِ ؟

ـ أتظنني سأترك مرضاي ؟

ـ نور .. أنتِ بحاجة للراحة ..

ـ أين هو ؟

ـ أعتقد أنه..

ـ احتاج التحدث معه ..

ـ في غرفة الإسعاف ..

جمعت كل شجاعتي التي إكتسبتها من الألم وإتجهت له وكنتُ أخطو عـلى كُل الحُب والإهتمام الذي أهديته له ، كـان جالسًـا في حالـة ميئـوس مِنهـا يبكي دماءً على أسرته ثم رفع رأسه ليراني :

ـ نور ..!

ـ نعم .. أترى كم انّ العالم صغير ...

ـ تخرجتِ !

ـ وأنت تزوجت وأنجبت بسُرعة الضوء !

تحركت لأجلس أمامه بكُل ثِقة :

ـ أعتذر ..

قالها وإزداد نحيبه باكيًا وضحكت بسُخرية :

ـ أشعرُ بالإشمئزاز مِنك وتعلم ؟ .. تستحق المَزيد من الآلام والتي أتمنى أن تغرق بها حتى تموتَ وحيدًا بائسًا سيئًا ..

ـ تشاجرتُ مع زوجتي عِند علمها بأمرك وحدث ذلك الحادث ..

ـ ألا تخجل مِن خيانتها وهيّ حامل بطِفلك ؟

ـ لم أكُن أعلم أن ذلك سيحدث .. أعتذر

ـ لن أسامحك حتى نلتقي يوم الحَشر ...

خرجتُ مِن تلك الغرفة فوجدت يُوسف ينتظرني فإبتسمتُ له بإطمئنان :

ـ هل أنتِ بخير ؟

تنهدتُ :

ـ أشعر بالرِضا ..

تركته بعيدًا كي لا يشعر بالرأفة عليّ وطلبتُ سيّارة أجرة وذهبتُ لحديقة **** وخَلعت حذائي و وقفتث على العُشب مثلما كنتُ أفعل أثناء مُراهقتي وجلستُ وأنا أتكأ على شجرة وتحسستُ خشبها وبدأت بالتحدث مع رُوحي :

ـ أنتِ بخير مثلما كنتِ قبل لقاء أحمد ..

تنفستُ وتذكرتُ وُعودنا سويًا وبراءتنا عندما كنا نظن أنّ الحب أبديًا ولـن ينتهى حتى المَوت .. لو تعلـم كـم أحببتـك و وضـعتك في ركـنِ في قلبـي لا يصل له أحد ولو تعلم كم أهملتني وتركتني أرتشف من الحُزن دموعًا ..

" لا بأس .. الحُب ليس أُكسجين "

لم أُحب طارق في البداية ولكنه إهتم بي وكان يُعوضني عن نقص لم يفعلـه أحمد ولكـن كِلاهـما بهـما نقـص ولكننـي إنتهيـتُ الآن وأتى يوسـف الـذي أخشى أن يكُون مثلهما ولكن يبدو أنه مُختلف ..!

ولن يأتي ليعتذر بعد فَوات الآوان ولم يسخر مني عند كِتابتي لِعشتار مثلما فَعـل كِلاهُـما بـل شـجعني كثـيراً وأقبـل عـلى الأمـر واخـذ يسـاعدني في الشخصيات والأحداث وكأنها روايته فقررتُ أن يكون هو بَطلي ...

سنُحاول يا قلبي للمرة الأخيرة مع يُوسف فما يبدو أنني أوشكت أن أحبـه فيهـتم بي ويفهمنـي ويقـدر حـالاتي المُتقلبـة ويهـتم بعَملـه مـثلي ويفكـر بطريقتـي كـما أنـه مُناسـبًا لأفكـاري ومبـادئي و وجهـات نَظـري ومُـتحكمًا بغضبه ويتصرف بعَقلانيـة وأعتقـد أنـه يحبنـي أم لا يحبنـي ويـراني فقـط كزوجة صـالحة لـه ولتربيـة ابنـاؤه وذلـك أفضـل فهـو أيضًـا زوجًـا صـالحًا ولنبتعد عن الحُب المؤذي المُدمر تلك المرة ..

أخرجت بعض الأوراق والقلم المُفضل لي :

" لا يجوز الإعتذار بعد فَوات الآوان يا عزيزي "

قررتُ التحدث مع يُوسف ليُقابلني وسلم المرضى لأحد أصـدقاؤه واتى لي في خِلال دقائق وأخبرتُه أن يجلس حافيًا على العُشب مثلي ففعل ذلك :

ـ لماذا إخترتني ؟

ـ لم أختارك .. وقعتِ في طريقي ..

ـ لماذا رأيتني كزوجة ؟

ـ.....

ـ سأعطيك إختيارات .. لأنّك أحببتني أم رأيتني مُختلفة أم شعرتُ أني جيدة كزوجة ..

ـ ثلاثتهما ..

ـ تعلم أنّ الحب يموت ..

ـ ليس إذا سُقيَ آمان وإهتمام وتقدير وإحترام ..

ـ ما أهم وأصعب شئ في الزواج ؟

ـ تربية الأبناء ..

ـ إذا غلبني المَرض .. هل ستتحملني ؟

ـ نعم ..

ـ لسنوات ؟

ـ لا أتخلى عن مَن أحبهم ..

ـ إسألني ؟

ـ إذا غلبني المَرض .. هل ستتحمليني ؟

ـ نعم ..

ـ لسنوات ؟

ـ الطبيبة لا تمل من مرضاها .. هل ستمل من زَوجها ؟

ـ هل ستبادليني الإهتمام ؟

ـ نعم ..

ـ الحُب ؟

ـ أخشاه ...

ـ لم ينتهي الشهر بعد .. إن أردت لكِ مزيد من الوَقت ..

ـ هل ستخلف بوُعودك ؟

ـ سأحاول الحفاظ عليها إلى أن أنتهى ..

ـ إلى أن ننتهى ..

ـ كلانا نعلم أنّ الحُب عُنصر مُهم في الزواج ولكنه عُنصر ليس عاملًا ..

ـ أحب تلك الطريقة التي تُحبني بها وأعدك أنك يومًا ستملك قلبي وما بـه من حُب ...

ـ أتمنى أن لا يكون بعيدًا ..

ـ لن يكُون ..

تركتُ نفسي للحُب وحدث زواجنا خـلال شـهر ! أخبرتـه أننـي أحبـه أثنـاء وِلادتي لنالا وضحك لي حينها باكيًا قائلًا : هو ده وقته !

" كُل عقلٍ ولهُ حدٍ ومَقدرةٍ على تحمُل الصَّدَمَات ، فإذا زَادَ الجدُ تحطمَت المَقدِرةُ "

سيغموند فرويد

(الآن)

أجلس على السَرير في المَشفى ناظرةً في الفراغ أمامي أتذكر كل ما مضى مِن حياتي والذي رفض عقلي عيش تلك الحَياة فقرر أن يكُون سجينًا لروايات كتبتها في أوقات فَراغي !

أتذكر ما حدث لي قبل الحادث الذي أفقدني ذاكرتي فكان شِجار قررنا على إثره الإنفصال ولكن لم نستطع ، طرق يوسف الباب ودلف للغُرفة مُرهقًا وجلس على طرف السرير :

ـ كيف إستطاعت نالا التمثيل ؟

ـ أخبرتها أنّها لُعبة ..

ـ كيفَ فعلت كل ذلك ؟.. السفر وجعل كُل أولئك التمثيل وكيفَ ..؟ .. أحداث الرواية بدِقة و..!! ..لماذا ؟

ـ مازلتِ زوجتي .. ولا أستطيع تركك عند مرورك بحالة صحية ليست جيدة ..

ـ مرض الحمى لم يكن بأحداث الرواية ؟

ـ لأنكِ مرضتِ حقًا ولكننا تداركنا الموقف ..

ـ هل مات أبي حقًا ؟

ـ أنا آسف .. عقلك الباطن صوّر رحيله كي لا يتقبل الوَاقع كما أنّ وفاة جدك وفي الحادث وخسارة طِفلنا الثاني أثر بالسلب على حالتك ولذلك عشتِ في أحداث روايتك رافضةً حياتك ..

ـ أمي ؟

ـ بخير .. لم تتاثر حالتها الصحية كثيراً بعد الحادث فشُفيت خِلال ثلاثة أشهر .. أنتِ ظللتِ في غيبوبة لمُدة خمسة أشهر وإستيقظتِ بالشخصية التي نعلمها وحدث لكِ إنهيار عصبي في البداية وأخذتُ أياماً حتى أدركتُ الأمر ..

ـ أريد رؤية نالا ..

ـ أخبرت كريم أن يُحضرها ..

ـ هل أنجبت عُنود طفلها الثاني ؟

ـ نعم .. منذُ خمسة أشهر ..

ـ ومَن كان يعتني بهم في تلك الجلبة ؟

ـ والدهم كريم واعتنى أيضًا بنالا ..

ساد الصمت بيننا لدقائق فخشيتُ التحدث عن إنفصالنا مرة أخرى وأعتقد أنه مثلي حتى دَخلت كارمن الغُرفة باسمةً :

كارمن : مرحبًا بعودتك نوري ..

القت السلام على يُوسف الذي رَحل بعدها ليتركنا نتحلى ببعض الخُصوصية ، أتت لتحتضنني :

ـ ما بكِ ؟

ـ أخشى الإنفصال عنه ..

ـ لا تنفصلي إذًا ..

ـ ولكننا اتفقنا ...

ـ نور .. مررتما بالكثير من المشاكل والتي ليست بعيدة عن حلُولها .. أنتِ خائفة من كُل شئ حتى من التجربة مرة أخرى ولكنني أخبرك أنه لا بأس من التجربة فلن نتعلم إن لم نجرب .. ربما كانت تجاربك الأولى والثانية سيئة ولكن تعلمتِ منها .. الخِلافات التي حدثت بينكما كثيراً ما تحدث في العِلاقات ولا يمكنك التخلي عن شخص مثله فقط بسبب خِلاف ناتج عن الضغوط النفسية .. ربما كان ذلك الحادث كي يريكِ الله ما سيفعله لأجلك .. يُمكنكما تعويض ذلك الطفل وحل كل تلك المشاكل فيُوسف ليس من ضِمن الحالات السبع التي لا تستحق المغفرة ..

ـ ما هيَ تلك الحالات ؟

ـ الخائن والمهمل وغير المسئول وناكر الجميل وزير النساء ومدمن العمل والذي لا يصلح أب ..

ـ إذًا سنحاول مرة أخرى ..

ـ لا أريد الضغط عليكِ كباقي المجتمع لتدمري ما تبقى ما تبقى من عُمرك فقط للحفاظ على بيت مهدوم ولكني أخبرك انكِ ستحاولي للمرة الأخيرة

ـ حسنًا .. هل يُمكنني سؤالك عن أمر ؟

ـ بالطبع ..

ـ لماذا انفصلتِ عن مروان ؟

ـ إهتم بعمله أكثر مني بل لم يهتم سوى بعمله .. كان يسافر كثيراً حتى بدأت أشك أنه متزوج ولكنه لم يكن .. رفض إنجاب طفلًا ولم يتفهمني أبدًا

وعشتُ كأني لستُ متزوجة وعندما واجهته أخبرني أنّ الأمر لا يستحق التضخيم وأني أبالغ في ردة فِعلي ثم تشاجرنا يومًا فسافر وتركني غاضبة لسنة كاملة لم يتواصل فيها معي وعندما عاد طلبتُ الطلاق ولم يعتذر أو يناقشني وفي اليوم التالي تم تجهيز أوراق الطلاق وانتهى الأمر بجلستين بمُنتهى السُرعة منذُ سنتين ..

ـ أمطرتيه بالفُرص ..

ـ ورفسها بقدمه والآن كعادة أبناء آدم يأتون ليعتذروا ويطلبوا فرصة ثانية بعد فَوات الآوان ..

ـ لماذا ذلك الجيل هكذا ؟ لماذا لا يملكون الخِبرة الكافية في العِلاقات ويرغبون بإمرأة كاملة متكاملة وهم ليسوا بتلك المثالية.

ـ لا تظلميهم .. فنحن نرغب أيضًا بأشخاص مثاليون ونحن لسنا كذلك .. لم يُخلق أحد مثالي فخُلقا نصفين ليكمل أحدهما الآخر .. سأرحل .. فكري جيدًا قبل أن تأتي ونالا ..

خرجت من غُرفتي تاركةً أثرًا في عقلي وقلبي وأخذتُ أفكر بصوت :

ـ هل انتهينا ؟ هل وصلنا للمحطة الأخيرة مِن العلاقة أم إنها استراحة فقط ؟ بدأ حُبنا بقلق وهل سينتهي بنفس الطريقة ؟ لا أعلم حتى من المُتسبب في وصولنا لتلك النقطة هل أنا أم أنت أم النصيب ؟ ، أليس ذلك الظلام الذي إستولى على حياة الجميع مبالغ فيه قليلًا ؟ لستُ يائسةً ولكنَّ الحظ هجر الجميع كهجر حبيب خائن لا يتحلى بأيًا من صفات الوفاء وإن سُئلت يومًا عن الجهاد فسأخبرهم أنَّ جهاد النفس من أصعب معارك الحياة البقاء بنفس نقاء قلبك وصفاء روحك على الرغم من محاولة الحياة

لتهشيم كل معاني الطيبة والرحمة بداخلك على الرغم من كل الإنكسارات والمفاجآت والعثرات ، نالا صغيرتي الشئ الوحيد الذي لم أندم عليه وأثق أني لن أندم ..

حاولتُ الوقوف على قدمي كي لا تأتي وتراني مُتعبة و بعد دقائق طرق الباب ودلفت نالا للغُرفة وركضت لتخترق ضلوعي وتتخفى داخل قلبي تحت مُسمى العِناق ولكن أنا أرى أنه تلاقي أرواح وليس تماس جسدي وبكيتُ رغمًا عنِي :

ـ هل تبكين أمي ؟

ـ لا صغيرتي .. لقد لاقى الغُبار عيناي ...

ـ كنتِ تمثلين جيدًا في الفيلم الذي صنعناه ..

إبتسمتُ لِشدة براءتها التي لم تعُد لدى أحد وإحتضنتها اكثر محاولة إخفاء شِدة حُزني ودُموعي ثم لمحتُ عيناها ستبكي لبكائي ففضلت أن تبتعد على أن تحزن :

ـ عزيزتي .. اخرج لأبيكِ ..

طال إقناعي لها حتى خرجت وجلستُ على السرير ضممتُ ركبتي لرأسي وبكيتُ كثيرًا .. بكيتُ موت والدي وجدي المريض وطفلي الذي أخفيته عن يُوسف في الحادث منذُ عام .. لماذا لم أمت إذًا ؟ .. اللعنة .. لماذا لم أبقى بتلك الشخصية إذًا ؟ .. ماتوا جميعهم بسببي .. لم يكن ذنب أحد مِنهم فمات أبي بعد عودته بعامين ولم أكتفي مِنه بعد ولم أخبره كم أحبه وأنّ غضبي منه كان بسبب الشوق فقط .. أعتذر عن كُل شئ ..

أردت الهروب من ذلك الألم ولكن أين أهرب والألم داخلي أيـن أهـرب مـن نفسي لا بدّ أن أواجه ذلك الأمر فالهروب لن يفيد بل سيزيد الأمـر سـوءَا ، أنا سقطت في القاع فلم يعد البكاء حـل، روحـي تسـبقني إلى جميـع تلـك الأماكن التي كنّا بها سويًا ...

نهضـتُ وأمسـكتُ حُقنـة مـن المُهـدئ وغرزتهـا في وَريـدي عسى- أن أنـام وأستيقظ لأجـد كُـل ذلـك حُلـم لا أكـثر ، إسـتلقيتُ وقـد غرقـت الوسـادة وملابسي بدُموع لن تعيد أي شئ لمجراه ونظـرتُ لـذكريات الحـادث حتـى هدأتُ ورحلني إدراكي لأنام ..

****

(يَوم الحادث)

إستيقظتُ في الثامنة صباحًا أو بالأحرى لم أنم من الأساس فتحدث معي قلبي معاتبًا طوال الليل حتى أني لم أتذكر مرُوري بليلة كتلك طوال حياتي وكأنّ كل الآلام تجمعت اليوم فقط وخاصمتُ القهوة بسبب حَملي الثاني الذي أخفيه عن الجميع كما أنّ مرارة تلك الأيام تكفيني ، دخلتُ للمطبخ فوجدت ما تشتهيه الأنفس ولكن نفسي رفضت كل شئ وتذكرتُ أيامي معه في بداياتنا التي ما تكون مثالية وتبعت تلك الذكرى شجاراتنا المتتالية التي لم تنتهي لتلك اللحظة ، حذرته مِن الحُب والزواج ولكن لم يسمعني ، كنتُ أقف بقوة لأني أعلم بإستيقاظ جدي ولا أرغب أن أظهر هشة ضعيفة أمامه ثم شعرت بيد على كتفي فكان هو فقلتُ بقلبي : كم أنتَ جميل يا جدي تشعر بي دون بوح ؟ ، سحبني من يدي وجلسنا في الشُرفة :

ـ إبنتي .. اليوم سينتهي كُل شئ في الثالثة ظُهرًا .. ذلك وقتك الأخير قبل جلسة الطلاق ..

ـ لن أغيّر رأيي ..

ـ لديكما إبنة ..

إحترق قلبي بمُجرد قوله ذلك فلا أحد يعلم بما داخلي :

ـ سأعوضها ولكن لن أستمر معه بزواج ملئ بشِجارات فقط .. مرّ سنتان ونختلف يوميًا .. لن أدع ذلك يؤثر على نفسية إبنتي عندما تكبر .. هي الآن سنتين فقط .. ما الذي سيحدث عندما تنضج وتجد والداها في خلافات يوميًا ..

ـ اخرجي من المنزل الآن .. امشي في تلك الشوارع والقـي نظـرات عـلى كُـل سنين حياتك وكل الذكريات التي قضيتيها هُنا وفكري جيدًا للمرة الأخيرة ..

ـ حسنًا ..

غيّرت ملابسي لأفعـل مثـل مـا نصـحني واحـاول أن أهـدأ مـن صُراخ قلبـي وأثناء خُروجي لمحتُ أبي وقد أنهكتـه الغُربـة والنـدم فألقيـتُ عليـه سـلام صباحي ونزلتُ لأتذكر كل حياتي بدايةً من يُوسف في الطفولة حتى يُوسف مرة أخرى مرورًا بأحمد وطارق ، هل إختياراتي سيئة بذلك القـدر ؟ أم أنـه حظ سئ ؟ إن علمت كم خلقتُ حبًا في قلبي لأعطيـه لـكَ لم نكـن سنصـل لتلك النقطة .. اليوم سينتهي كل شئ وذلك القـرار الأنسـب لأجلنـا وأجـل نالا والصغير الذي سيأتي وسأخفيه كي لا تتراجع عن الطلاق لأجله فإن كنت ستعود لأجلنا ليس لأجل طفلك لنكمل شجارتنا حتى يكـبر ويصـبح معقـدًا نفسيًا يكره حياته وبيته فالمجتمع به الكثير ، قاطعني صـوت نـداء فرأيـتُ شابة جميلة وجهها ليس بغريب :

ـ الطبيبة نور .. كيف حالك ؟

ـ بخير .. أعتذر لا أتذكرك ..

ـ أنا مريم .. الفتاة التي أنقذتيها هيَ وأمها من العُنف الجسـدي والنفسي ـ بإبلاغك للشرطة وإهتمامك بالأمر

ـ حسنًا .. تذكرت .. كيف حالك ؟

ـ بخير ... رغبتُ كثيراً بالتواصل معك ولكن الكارت الخاص بكِ فقدتـه وتـم نقلك من المشفى .. ولكن من الجيد أن تجمعني بكِ الصدفة .. أعمـل الآن

في جمعية للدفاع عن حُقوق المرأة وإنقاذ النساء من العنف وسأقيم حملة قريبًا بذلك الأمر وأرغب أن تحضري المؤتمر الذي سأتحدث به عن الأمر ..

أخرجت من جيبها دعوة لذلك المؤتمر :

ـ فخورة جدًا بكِ يا مريم ..

ـ إن أتيتِ سأكون شديدة السعادة .. بقى شهران عليه

ـ سآتي بالتأكيد ..

ودّعتني بحرارة وعُدت للمنزل منتظرةٌ الوقت يمر وقاطعت ذلك الإنتظار :

ـ هل فكرتِ جيدًا ؟

ـ نعم يا أمي ..

ـ كما ترتاحين يا عزيزتي .. لكن إياكِ أن تحرمي يوسف إبنته فذلك حقه وهو أب والله لا يسامح على ذلك ..

ـ لن أحرمه منها وكما ترين هي تبقى معه الليلة وستبقى معه متى يشاء ...

ـ حسنًا .. هل أنتِ بخير ؟

ـ سأكون عندما ينتهي الأمر ...

بعد مواساة طالت خرجت وهيَ تدعو لي بحُب ونهضتُ أنا لأقرأ رواياتي وأحاول أن أخبر روحي كم أنها ناجحة وبدأتُ بعِشتار وحين إنتهاءها قرأتُ نصف شقة الأموات وحان وقت الرحيل ..

تتلاشى السعادة داخلي اثناء خروجي من المنزل ويليني والديّ وجدي ورغم ذلك أشعر كأني تائهة وحيدة .. قابلنا كريم مع زوجته عنود شقيقة يُوسف والتي رمقتني بنظرة حُزن ولوهلة تساءلت عنه هل يقف وحيدًا في إنتظارنا ؟ ، قاطع ذلك أبي :

ـ عزيزتي .. هل أنتِ بخير ؟

ـ هل يهمك حقًا ؟ فلم تكن بجانبي لا أثناء زوجي ولا ولادتي والآن يهمك أمري ..!

ـ أعتذر حقًا .. أعلم بخطأي ويتحدث الندم عني ..

جلستُ في الخلف مع أمي أضع يدي على بطني وأخفي حُزني ولم أخشى سوى على طفلي الذي لا ذنب له بكُل ذلك ، تولى أبي القيادة وجلس جدي المُتعب بجانبه وكانا كلاهما يتولاهما الشُرود ثم تعطلت السيارة لسبب جهلته فكان أبي سيراها وحينها رأيتُ تلك الشاحنة التي تتجه نحونا بقوة ولم أملك الوقت حتى لأدرك الأمر وإنقلبت حياتي رأسًا على عقب ...

****

" سَوف تحترقُ، وستخبوُ، وستُشفَى
وتقفُ على قدميك من جدِيد. "

دوستويفسكي

يوسف

الحب هو لغز لا نهاية له ويفوق فهمنا كنّا في عالمين منفصلين تمامًا ولكن القدر لم يتقبل ذلك الإنفصال فجمعنا سويًا حتى وصل بنا الحب لأعلى درجاته وعندما كدنا نصل للقمة قام بتغيير رأيه كليًا بخصوص ذلك الحب وجعلنا نسقط في القاع كلاً منا في جهة منفصلة مختلفة عن الآخر ولنأتي للذهول أنّ الأمر العجيب الذي لم يفسره أحد إلى الآن هو ماهية الحياة التي تنعم علينا بالخذلان وتصفعنا بالحب ...

" لعله خير" لطالما آمنتُ بذلك وسأظل دائمًا بداخلي يقين يتزين بالإيمان القوي الذي أتسلح به ف معاركي الشخصية مع الضعف ولذلك أنا بخير دائمًا وإن أدركني القدر المظلم أنا بخير دائمًا وإن كسر أحد أضلعي أنا بخير للأبد لأنَّ الله رفيقي الدائم الذي ألجأ له دائمًا لأحاول إكتساب القوة الكافية التي تجعلني أتخطى مرحلة الهزيمة بكل روح قوية ...

مازلتُ احبك على الرغم من علمي أنّ ذلك يقتلني ولكنه على قلبي مِثل العَسل ، مرّت ليالٍ لم اعيش فيها سوى لكِ ولأجلك فأنتِ الشئ الوحيد الذي ربطني بالحياة ، كنتِ مُغيبة عن الواقع لشهور وأنا حينها تغيبت عن كُل سبل الحياة لأجلك فلم أعد لبيتي منذُ الحادث فأدركت أنكِ مسكني وكل البيوت دُونك لا تصلح للعيش على الرغم من كل شئ قد حدث فقرار الإنفصال كان أغبى القرارت في حياتي وأكثر ما ندمت عليه طوال ليالي مرضك فغدوتُ أنا المريض بمرضك والمُتعافي بتعافيك ، ضحكتُ ببكاء عندما تذكرت أني قررت كُرهك فالحب والكره ليسا متضادان أبدًا في العلاقات فيما بينهما آلاف من المشاعر التي يمر بها القلب كما أن الكره إهتمام

بشخص لا يهم بطريقة سلبية أم إيجابية كان ولكنه إهتمام ولذلك فإنّ تضاد الحب هو اللامبالاة والبرود بمعنى أنّه بعد أن وصلت إلى أعلى درجات الحب معك أصبحت لا ألمحك ولا تأخذ ذرة واحدة من تفكيري ولا يوجد حب يتحول لكره أبدًا.

لن يستطيع أحد أن يحول كل الشغف واللهفة التي بداخله إلى كره يمكن أن تتحول إلى رتابة وملل وذلك ما لم أشعر به أبدًا ، قتلتُ قلبي كثيراً في تلك المُدة حتى كنت احضّر القهوة ذات مرة فنادتني الممرضة بحرارة أنك إستيقظتِ فركضت قدمي إتجاه غُرفتك بأمر من قلبي لا عقلي لأراكِ تجلسين بصدمة واضعة يدك على بطنك فعلمتُ حينها أنكِ كنتِ تعلمين بحملك فغضبت نفسي قليلًا ولكني أجلت ذلك لوقتِ لاحق ثم لمحتيني فإنتفضت ملامحك وقمتِ بمد يديك فأمسكتها وإقتربت منك :

ـ مات جدي وأبي ..

ضممت حاجبيّ بجهل فلم أعلم مصدر عِلمك :

ـ مَن أخبرك بذلك ؟

ـ مات كلاهما ..

ـ لا .. لم يموتا ..

ـ وطفلي لم يخرج حيًا ..

حاولتُ تدارك الموقف حينها ولكنك صرختِ بعُنف ولم أعلم ماذا أفعل فأعطيتك مهدئًا لتنامي وبعدها علمت أنّ الممرضة الجديدة أخبرتك وهي لا تعلم صِلة القرابة بينكما فنالت جزاءها وإستدعيتُ كارمن لنرَ حلًا يجعلك أفضل ثم إستيقظتِ مرة أخرى وحينما رأيناك كنتِ تصرخين

وتخبرين الجميع أنكِ مبعُوثة عِشتار ويجب عليكِ الذهاب للعِراق ولمحتيني واقفًا أبكي ولكَنك لم تعرفيني فأعطتك إحدى الممرضات مهدئًا وخلدتِ للنوم ، هُنا إنهارت كل تلك السنين على روحي فتلاعب بي الحُزن والقدر كأني كُرة سلة ، شرحت لي كارمن حالتك وأدركتُ أني أمامي حربًا طويلة كي أجعلك طبيعية إن فلح الأمر .....

إعتبرت أن مجهودي المبذول في تلك الخطة عِقابًا لي على الحالة التي وصلناها والتي كُنت المُتسبب الأكبر بها حتى وصلنا لتلك اللحظة التي تدركين بها الحقيقة بأكملها لأشعر أنّ قلبي يتلون بكِ للمرة الألف ، لم أرى نالا سوى خمسة مرات فقط فشعرتً أني السبب بإشتياقها لكِ في عام كامل وكانت المرة الخامسة عِندما خرجت من غُرفتك الآن فكانت تخبرني أنكِ تبكين فنظرتُ بخلسة كنتِ كالطفلة تضمين ركبتيك لرأسك بجسد هزيل ضعف من المَرض ، بكيت مثلك ، لربما أكثر لأنكِ نمتِ بينما أنا دخلت للغرفة وجلستُ أرضًا أبكي بعد نومك وأحمد الله أنه لم يكرر موت أحبائي مرة أخرى ، مرّ ثلاثة أيام وحان ميعاد خُروجك من المشفى وإخبارك أنّ والدتك مازالت في الغيبوبة لم تستيقظ بعد ولكني فوجئت أنكِ تعلمين الأمر وعندما سألتك كيف أجبتِ أنها زارتك في حُلمك وأخبرتك أنها ستستيقظ قريبًا فخفف ذلك عن حِمل قلبي قليلًا ، رغبت حينها في العودة للمنزل بعد إصلاحه وذهبتُ معها فعجزت عن مواجهة هجوم الذكريات لها فتراجعت وأخبرتني بصوت خافت يرغب بالبكاء :

ـ لا أريد البقاء هُنا ..

على الرغم من أنها كانت تعيش به منذُ أسبوع بشخصية أخرى ولكنها عجزت ..!

مسكتُ يدها وجعلتها تركب السيارة وكان كريم يرافقنا من بعيد وأخـذتها لمنزل جديد لا يوجد به أي ذكريات طلبتُ تجهيزه مـن أجـل فـترة تعافيهـا النفسية ولم تتحدث طوال الطريق وفضلت الصـمت أيضًـا حتـى مـرّ شـهر بذلك الصمت نعيش به في منزل واحد كالأغراب تفصل بيننا ذكريات وليالي وخِلافات وحُزن ، أعتقد أنّها تحسنت قليلًا وكانـت تـأتي نـالا لتزورنـا كثـيراً ولكن لم تبقى بسبب مدرستها وحياتها كما أنّ نور ليست مستعدة لترعاهـا وفي السادسة صباحًا يومًا ما خرجـت لأشرب قهـوةً فمرارتهـا متشـابهة مـع أيامي وأتت لي صوتها من الخلف :

ـ هل يمكننا التحدث ؟

تفاجأت بوجودها وأجبتُ مسرعًا :

ـ بالطبع يمكننا ..

جلست بجانبي وبعد دقائق سألت بتردد :

ـ هل مازلتُ .....هل...

ـ مازلتُ أحبك ولا أرغب بالإنفصال وذلك القرار كان أغبى شئ فعلته عـلى الإطلاق ..

نظرت لي بقلق :

ـ إذًا ؟ .. هل نعود لمنزلنا مع نالا ؟

****

" لا يوجد ما يُسمى بالنهاية الحزينة
، تلك حزينة إذًا ليست النهاية "

(بعد مرور عامين)

كانت نور تقف وراء المسرح تفرك يدها بقلق حتى شهقت عندما أخافها يُوسف من الخلف :

ـ ألا ترى حالتي ؟

ـ آسف .. يا كاتبتنا العظيمة ..

إحتضنها بحُب وهمس في أذنها :

ـ كل شئ سيكون بخير .. أنتِ تخاطبين مئات الأفراد بالخارج وجميعهم يثقون بكِ .. أنا وكريم وعُنُود ووالدتك نجلس بالصف الأمامي ..

سمعت إسمها فهمّت بالخُروج لتقف على المسرح تُلقي محاضرة عن الخِلافات الزوجية بثقة :

ـ بالتأكيد بعض الخلافات والمشاكل تتخلل أي علاقة جميلة ولكن هدوء الزوجة وإحترام الزوج الدائم لها ولأي مشكلة قد تحدث يجعل الخلافات تنتهي وتذوب وكأنها لم تكن ، ولذلك يجب على كل ثنائي الحفاظ على حدود الإحترام بينه وبين شريكه فالإحترام يصبح أحيانًا أهم من الحب وكسر حاجزه يسبب تفاقم أي مشكلة كما أنّ الثقة من بعض العوامل الأساسية لبناء أي علاقة ناجحة فيجب على كل طرف إعطاء مساحة شخصية للطرف الآخر كي يتصرف بحريته ولا يقيده ببعض القوانين حتى لا يتسبب ذلك الأمر في زيادة نسبة الخلافات والصدق عنصر مهم جدًا فيجب تقبل كل طرف الخطأ الذي إرتكبه وأن يعترف به لنفسه وللآخر فإرتكاب الأخطاء ليس أمرًا معيبًا ولكنّ المعيب هو إنكار ذلك الخطأ

وتكراره وعدم الإعتراف بالخطأ بحجة أنّ ذلك الأمر يلامس كبرياء المرء خطأ شنيع لأنّ الكبرياء هو الشموخ والإنفراد بالنفس على الناس وعدم التذلل أي أنه عكس التواضع كما أنها ليست صفة شديدة الجمال والله وحده من يستحق الكبرياء لأنّ الإنسان مهما بلغ نفوذه في الدنيا وعلت مراتبه وارتفع شأنه بين الناس ففي النهاية سيأتي يومًا ويضطر إلى التذلل إلى الله فلا يوجد أدنى داعي لإستخدام الكبرياء ، عند حدوث مشكلة وإن كانت صغيرة لا يجب التغاضي والصمت عنها لأنّ هناك بعض المشاكل التي تكون ناتجة عن تراكمات أمور بسيطة لا تُذكر ولذلك يجب إختيار وقت مناسب يكون فيه الوسط الهادئ ليتحدث كلًا من الطرفين عن جميع تلك الأسباب الصغيرة ولا يجب على أي طرف السماح لشئ تافه بالتفاقم حتى يصبح مشكلة أساسية ولا يجب أن ينام طرف وهو يحمل ولو ذرة سوداء على الأقل داخله إتجاه الآخر وبتلك الطريقة حافظ كلاً من الزوجين على بناء علاقة لا يمكن أن تنتهي ببساطة فالحب عنصر شديد الأهمية ولكنه وحده لا يستطيع تحمل مسئولية بناء علاقة الزواج ولذلك الإحترام والثقة والتفاهم كانوا جميعًا معًا .

تعالى صوت التصفيقات لها وانتهى الخِطاب وقابلها الجميع في الخارج ومع الكثير من التهنئات والحُب والفخر ثم نظرت للساعة لتدرك أنها تأخرت كثيراً على مؤتمر مريم فتخرج راكضة مع يوسف :

ـ أنا مبهور بنجاحات تلك الفتاة حقًا ..

ـ نعم .. أصبحت الآن رئيسة جمعية للدفاع عن حُقوق المرأة المُستهلكة وتهتم بشكل خاص بالعُنف الجسدي والنفسي والذي له أثرًا على المُجتمع.

ـ جيد أنكِ لم تستمعي لي حينها وتحدثتِ مع الشُرطة .

ـ أتعلم أيضًا ؟ .. وَقعت في الحُب مع وَسيم خاصتنا وكانت ستقوم ب....

ـ لا انتظري .. هل سنتحدث هُنا عنها ؟

ـ نعم ..

ـ في رواية أخرى عزيزتي .. فقد تعبت نانسي كثيراً في الوصول للنهاية ..

ـ لأجل نانسي فقط ولكن سنتحدث عن مريم فيما بعد ..

ـ بالتأكيد سنتحدث في خيالها ولكن ربما ستتقاعس عن الكِتابة ..

ـ لا .. لن تفعل .. ستكتب عن مريم أنا أثق بها ...

تمت بحمد الله

2021/6/1

الختام

ولأن الختام دائمًا ما يكُون مِسْكًا، فالمِسكُ اليوم هو امتنانُ.

امتنانٌ لأمِي الداعمة الأولى والدائمة لِي، فليسَ كُل الأمهات يفعلن مِثل أمي حِينما أتت لهَا ابنتُها الصُغرى في السَّابعة من عُمرها وتخبرُها أنَّها كتبت قصةٌ فشجعتهَا وأخبرتها أنَّها تفتخرُ بِها.

امتنانٌ لأبي الذِي لمْ أرى في حِنوُه عليَّ مثِيلٌ، أحبّك كثيراً.

إن كَانت نانسي- الآن ناجحةً في كُل ما تفعلُه، وقويَّةً ، وعنيِدة ، وسويَّة نفسيًا ، فالفضلُ كلُه يعوُد لتربيةِ صحيحة مِن والديَّ أحمدُ اللهَ عليها.

امتنانٌ لشقيقتي التِي تنجحُ دائِمًا في اعطائِي دَفعات من الحمَاس، أفتخرُ بكِ كثيراً.

عزيزي القارِئ،

إن أردت شيئًا، فستفعلُه.

فانهض وانفض عنكَ غِبار الحجج والأعذار، واسعى وافعل ما تُريده بحقٍ.

أرجو أن تترُك رأيًا أو نقدًا بناءَ.

للتواصل مع الكاتبة:

البرِيد الالكتروني:

nancykhaled477@gmail.com

nansikhalid69@gmail.com

الفيس بوك:
https://www.facebook.com/hassan.mi.3